السنة التاسعة عشرة · العدد ٦ حزيران ١٩٢١

المشرق

شهيدا لبنان

الشيخ فيليب والشيخ فريد قعدان الخازن

لسيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي الجزيل الشرف

ما أصلتَ الاتراك سيفَ نقمتهم علينا إلّا لصدقِ وطنيَّتنا وشدَّة تمسُّكنا بامتيازاتنا وفرط حبّنا وإخلاصنا للأُمَّة الافرنسيَّة حامية ذمارنا. وقد تفنَّن اولئك الغاشمون في ضروب الانتقام وأماتوا العدد العديد من مواطنينا الكرام شفاءً لغليل سخطهم وظنًّا منهم انَّهم بتلك وسائل الإرهاب المقوتة يخنقون فينا شعائر وطنيَّتنا وعواطفنا وحبّنا لفرنسة. غير انهم خابوا ظنًّا وأخطأوا حدسًا لأنَّ صوت شهدائنا الاعزَّاء الذين لا ننسى أبدَ الدهر تضحية دمائهم الزكيَّة في سبيل الوطن المحبوب لا يبرح يطرق مسامعنا فانهم «وان ماتوا لا يزالون يتكلَّمون» (عبر ١١ : ٤) ويدعوننا الى اقتفاء آثارهم المجيدة والنَّسج على منوالهم بالاستبسال في المحافظة على المبادئ الشريفة مبادئ الشهامة والاستقامة والعدالة والحرّيَّة. وانَّ من هؤلاء شهداء الوطن فئةً قد امتازت بمجموع من الصفات الحميدة الغرَّاء تجعل أسفنا عليها شديدًا وتحملنا على نَشر ما انطوى واستطوَتهُ الايَّام منها تخليدًا لذكرها واقرارًا بجميلها كالأسف عليهما كلَّ الأسف الشيخَين الشقيقين فيليب وفريد قعدان الخازن اللبنانيَّين

نشأ هذان الشهيدان في قرية عرامون من اعمال كسروان ورضعا مع الحليب تقاليد العائلة الخازنية واعتبرا طول حياتهما إباء النفس والإخلاص لله وحبَّ الوطن وفرنسة الشرف وأمجد ما ورثاهُ عن الاجداد ولم يكن ذلك في اعينهما بالشيء القليل. فحبُّ الوطن وحبُّ فرنسة والتمسُّك بالدين والائتمار باوامرهِ والعمل بنواميسه تلك

كانت الصفات الشريفة والخلّة البهيّة التي تحلّى بها شهيدانا العزيزان وقد كانت ممتزجة مقترنة فيهما الى درجة لم نشأ معها التفريق لا بينها ولا بينهما

ما كاد الشيخ فيليب يبلغ اشدّهُ حتى نشط للعمل بل للمكافحة والجهاد في سبيل ما كانت توحيهِ اليهِ روحهُ الوطنيّة فما كان يأتي الاتراك او من حذا حذوهم في بعض الوطن اللبناني مظلمةً او اجحافاً في حقٍ الّا ورفع صوتهُ احتجاجاً دون ان يخشى بطش الحكومة وشرّها . وقد قبّحت عليهِ حكومة ذلك العهد معتقدةً انّها تكمّ فاه بالإرهاب فازداد جرأةً وواصل الاحتجاج بلسان الصحافة المصريّة على المظالم التي تحمّلها لبنان في عهد متصرفيّة واصه باشا . ولم يكن بعد اخوه فريد بلغ من السنّ ما يسمح له بمشاطرته الجهاد في سبيل خير الوطن ومصلحتهِ لكنّهُ ما شبّ حتى نهج منهج اخيهِ دون ان يحيد عنه ذرّةً حتى كان يخيّل للناظر الى الاثنين وللمتقرّب منهما انّ روحاً واحدةً تنعشهما

من اكبرِ الآفات ومن اعظمها شرّاً على البلدان انمّا هو حبُّ الوظائف الذي يُقعد النفوس عن العمل الجدّي ويميل بها الى ايثار المصلحة الشخصية على المصلحة العمومية . وكلٌّ يعلم ما كان من تفشّي هذا الداء في تركياً ولبنان وكم كان من ورائه من اذلال النفوس وهضم الحقوق الى غيرِ ذلك مما يُخجلنا ذكرهُ وتبيانهُ . على ان ما خُصَّ بهِ فقيدانا العزيزان من اباء النفس والشهامة وما امتازا بهِ من الحبّ المخلص لوطنهما وقاهما من شرّ ذلك الداء الوبيل فعلما باعتقادهما الراسخ في ذهنيهما من ان الوطنيَّ الحقيقي هو من ترفّع عن المصلحة الشخصية وعاش لوطنهِ لا لنفسهِ وازدريا بكلّ الوظائف التي كانت تعرضها عليهما الحكومة ليقينهما انها لم تكن تفعل الّا لاكتسابهما بهذه الطريقة وحملهما على الإغضاء عن مساوئها لتنتفع ويستفيد البلاد من خدمتهما . وجلُّ ما تمنّياه بهذا الشأن وكان مصدرهُ المحبّة الوطنيّة انمّا كان ان ينال احدهما الحماية الافرنسيّة فيعمل على مصلحة وطنهِ باوفر جرأة في ايأم سار فيها الاستبداد والجور والظلم وخفتَ صوت الحق وكانت ارادة الحاكم هي الشريعة والقانون

وما تلا هذه الأمنيّة من تعطّفات الحكومة الافرنسيّة الجليلة بتعيين احدهما فيليب ترجماناً فخرياً للقنصليّة العامّة في بيروت الّا سيما في تحقيق رغبةٍ اخرى كانت

في اعينها بمكان يُذكر من الاهمية وهي تأسيس جريدة تمكّنهما من نشر مبادئهما الشريفة وخدمة مواطنيهما بالدفاع عن حقوقهم وما لبثت رغبتهما هذه ان تحققت وظهرت جريدة الارز فادّت الخدمات الجلّى للدين والوطن وفرنسة نيّفاً وعشرين سنة وقد قيل عنها انها كانت اقرب الجرائد العربيّة الى روح الصحافة

وقد ظلّ منشئاها الفاضلان يدبّجان مقالاتها الشائقة الغراء بكل جرأة ونشاط الى ان سنّ المجلس النيابي التركي قانون الصحافة فاراد حاكم الجبل في ذلك العهد تنفيذهُ في لبنان وتقييد الصحافة به فهبّ الاخوان للمعارضة والاحتجاج على عمل رأيا فيه شديد المساس بامتيازات لبنان لكن فوزهما لم يكن بالامر السهل ايام عضد اوربا لفتيان الاتراك عضداً قد دفع بهولاء الى هاوية التعصّب الذميم ضد كل العناصر غير التركيّة ولذا لم يُنبأ باحتجاج شيخينا فاوقفت جريدتهما

وكانت صدور الاتراك وصنائعهم لا تزال تلتهب حقداً على الشقيقين لانهما كانا قد قاما حاجزاً منيعاً دون تحقيق رغائبهم في ضمّ لبنان الى السلطنة العثمانية ضماً كاملاً يوم قامت تلك الفئة اللبنانيّة على اثر اعلان الدستور العثماني واخذت تلحّ في وجوب انتخاب مَن يمثّل لبنان في مجلس المبعوثان. وكان الاتراك يرمون من وراء ذلك الى حرمان لبنان استقلالهُ ومنع الدول الاوربيّة بهذه الطريقة من المداخلة في شؤون هذه البلاد . ففطن الشقيقان للامر ولشهرا في جريدتهما الارز الحرب العوان على تلك الفكرة وقد أيداها بمقالات ضافية تجلّت بها وطنيتهما الحقة ومقدرتهما الكتابية المنطقيّة اذ بيّنا بالحجج الراهنة والادلّة القاطعة ان لا سبيل الى تمثيل لبنان في المجلس النيابي التركي وهو على ما هو من استقلاله الذاتي الممنوح له بموجب دستور خاصّ موافَق عليه من الدول العظمى . وقد قيّض الله لهما النجاح في الامر وحبطت مساعي الذاهبين فيه غير مذهبهما

ومما كان ينشّط عزيمتهما ويثبّتهما في الخطة التي اختطّاها لنفسهما انما كان مع حبّهما لوطنهما تمسكهما المتين العُرى بحبّ فرنسة وتفانيهما في سبيل مصلحة تلك الأمّة النبيلة التي كان من عنايتها بهذه البلاد وسكّانها منذ القديم ما اكسبها حقوقاً مقدّسة فيها . وهذا ما دفعهما الى تجشّم المشقّات وتكبّد النفقات الطائلة في سبيل نشر المحرّرات السياسية التي تبادلتها الدول بخصوص لبنان تعميماً للفائدة وتبياناً لما لفرنسة من الفضل

والحان على لبنان واهله . وعندما ان نشر تلك الكتابات باللغة العربيَّة كان من اهمّ الاسباب لحتق جمال باشا وسخطه على الشقيقين الخازنيَّين فدفعهما الى الموت شنقاً وقد زاد ذلك في علوّ مقامهما في القلوب ورفعة شأنهما وتقدير فرنسا والبلاد تضحيتهما

وهنا مجال لذكر حادثتين تبيّنان اجلى بيان الى أيّة درجة بلغ الشقيقان من الوطنيَّة ومن حبِّهما لبلادهما ولفرنسا . بل لمّا كان في نفس دارولاد (P. Deroulède) الافرنسي الشهير من عواطف الوطنيَّة السامية . ولمّا اتصل بهما خبر الحكم عليه بالنفي نظم احدهما فيليب قصيدة عربيَّة رنَّانة طلب الى صديقه المأسوف عليه كلّ الاسف الطران بطرس شبلي ان ينقلها الى الشعر الافرنسي . فطبع الاصل مع الترجمة وركب البحر الى اسبانية وتوجّه الى مدينة سان سابستيان حيث كان دارولاد وقدَّم له قصيدته المعبِّرة عمَّا كان يكنّه فؤاده من العواطف النبيلة الشريفة . فأجلّ دارولاد استقبال ضيفه الكريم واثنى على شعوره الثناء العاطر واهدى اليه مجموعة مؤلفاته . وقد شاهدنا رسم ذلك الوطني الافرنسي الصادق يعلو مكتب الوطني اللبناني الكبير

وحين استعرت نار الحرب منذ اعوام بين الدولة العثمانيَّة وايطاليا وأمَّت دارعات ايطاليان مياه بيروت ودمَّرت فيها السفائن العثمانيَّين انفره وعون الله اسف الشيخ فيليب كلّ الاسف لان الضربة لم تكن من فرنسا لانه لم يكن في نظره يحق لغير فرنسا ان تأتي عملاً في هذه البلاد

وكان جمال باشا السفَّاح ادرك دنوّ الاوان لفوز السياسة التي يسعى وراءها الشقيقان الخازنيان فأمر غير مبالٍ بالعفو الصادر بتاريخ ١١ ك ا سنة ١٩١٣ ان تصير محاكمة الشيخين امام ذلك الديوان العرفي الذي اشتهر اعضاؤه بعسفهم وجُبنهم وتضحية شعورهم امام ارادة جمال السفَّاح فاصدر عليهما الحكم بالاعدام وبلّغهما اياه قبل تنفيذه بثلاثة ايام خلافاً لما عومل به سائر المحكوم عليهم . وقد تساءل الناس كثيراً ولا يزالون يتساءلون دون جدوى عن مستندات ذلك الحكم الجائر التي ظلّت مكتومة رغماً عن ان جمال باشا نشر كتيباً بالعربية والافرنسية ذكر فيه اسماء المحكوم عليهم بالاعدام مع الاسباب التي اوجبت الحكم . فكأنه خشي ملامة الرأي العام فلم يأتِ على ذكر شيخينا العزيزين ولا ذكر الاسباب التافهة التي دفعته الى الانتقام منهما

وما انتشر خبر اعدام الشقيقين في البلاد حتى تولّت الكآبة جميع القلوب لما كان لهما فيها من الحب والمكانة الرفيعة، ولما كان يُعقد عليهما من الآمال الكبيرة. وقد بكاهما اللبنانيون دماً لانهما كانا اخبرَ الجميع بمعرفة تاريخ البلاد واشدّهم تمسكاً بالوطنية يدلّ على ذلك منشوراتهما العديدة في تأييد حقوق البلاد. من ذلك ما كتبهُ احدهما فيليب باللغة الافرنسية حينما ارادت الحكومة العثمانية إحداث بعض شرائع وقوانين جديدة في لبنان فبيّن اجلى بيان ان لبنان مستقلّ منذ القديم بعدليتهِ واحكامهِ . وقصارى القول انّه ما من جهة هجم منها المهاجمون الّا صادفوا فيها الشقيقين في اول خطّ الدفاع معرّضين صدرَيهما للذبّ عن حقوق وطنهما وعن حريتهِ ومن تصفّح مجموعة جريدتهما يكاد لا يرى صفحة تخلو من مقالة او نبذة او على القليل كلمة للمدافعة عن المبادئ الصحيحة

من الناس مَن تكون اعتقاداتهم ومبادئهم نظريّة بحتة فيعملون بكل الطرق على نشرها وتحبيبها غير انك اذا نظرت الى حياتهم لا تراها مطابقةً في شيء للمبادئ التي يكونون قد ملأوا بها اعمدة الصحف وبطون الكتب. ومنهم مَن اذا اتبع مبدأ من مبادئهِ عسر عليه العمل بالمبادئ الاخرى . فذلك لم يكن شأن فقيدينا العزيزين فانهما قد ظلّا حياتهما كلها عاملين بمبادئهما الشريفة ولم يكن انهماكهما في الشؤون الوطنية ليُقعدهما عن الاهتمام بامر الدين وواجباتهما نحو الخالق كما يعلم كل من عرفهما فعملًا بتقليدات العائلة الخازنية الجيدة لم يتغفلا قط عن القيام بواجباتهما الدينيّة. بل لم يكتفيا بما هو واجب عليهما من باب الوصيّة فكانا يعملان ايضاً بما هو من باب المشورات الانجيليّة كسماع القداس يومياً والمناولة المتواترة وغير ذلك مما كان دليلًا ساطعاً على رسوخ الدين فيهما وخصوصاً في احدهما فريد الذي كان الدين يزيد في مناقبهِ الطبيعية بهاءً وجمالًا يحمل مَن يدنو منه على حبّهِ حباً مشفوعاً بنوع من الاحترام. ولم يكن ليغرب عنه انّ كثيرين لطيشهم وقعوا في حبائل صفاتهم الطبيعية فأفرط في السهر على نفسه سهراً حفظ فضيلته من كل شائبة

وقد تجلّت فضيلة هذين الشهمين بأبهى مظاهرها ابّان الحرب العمومية ولاسيما في الايام الاخيرة من حياتهما في سجن عاليه فما استمرت نيران الحرب حتّى فقها ما كان يبطنه الاتراك من الشرّ لهذه البلاد وما عتمت ماجريات الامور ان اظهرت صحة

تحوفهما . فما لبث الجوع ان عضَّ بعض العائلات بنابه وكان فيليب وفريد اول من فكَّر في الاقتصاد بالمعيشة ليتمكنا من مساعدة بعض المعوزين بما كان يتوفر لديهما من هذا الاقتصاد . وكثيرون من القراء قد شاهدوا بأم العين ما كانا يوزعانه في تلك الآونة الضيقة على الفقراء اللاجئين الى جونيه . وما لبث ان احتذ حذوهما بعض اقاربهما الحازنيين الكرام فتناوبوا توزيع الطعام على الفقراء يوميًا الى ان كان من طول مدة الحرب ما جعل الحازنيين في ضيقة كغيرهم

علم الكل ما كان من خمول السلطان محمد رشاد وانتقال الحكم من يدو في اول الحرب الى زمرة الثلاثة طلعت وأنور وجمال واقتسامهم المملكة العثمانية . وكان نصيب جمال منها سورية والبلاد العربية . ولدى وصوله توسل بالإرهاب للبلوغ الى غايته واتخذ له اعوانًا من تلك الفئة الساقطة التي تعرَّى أفرادها من الشهامة والشعور الوطني فاخذوا يدسُّون الدسائس لمواطنيهم ويسعون الى الايقاع بهم بالتقريرات الزورية التي كانوا يرفعونها الى جمال . فبدأ هذا بأن أبعد تراجمي قنصليات الدول المتحاربة في المدن السورية ولم يشفق على المريض والمسن منهم . وقد لقي بعضهم حتفهُ في منفاه كالمرحومين حبيب دوناتو ترجمان قنصلية فرنسا في الشام وعزيز القيناني ترجمان قنصلاتو روسيا في بيروت وغيرهما

على ان الشيخ فيليب لم يكن الاَّ ترجمانًا فخريًّا لقنصليَّة فرنسا في بيروت وكانت المرحومة والدتهُ في مرضها الاخير ومع هذا اصابه ما اصاب غيرهُ وتقرَّر إبعادهُ الى قيسارية غير انه عند بلوغه مدينة حلب صدر الامر ان يبقى فيها فظلَّ هنالك الى ان توفيت والدته فرُخِّص له بحضور دفنها . ولكن مـا وارُوها رمسها حتى طُلب مع شقيقه الى الديوان العرفي في عاليه . وقد حضر الشقيقان امام هيئة ذلك الديوان ومثلا غير هيَّابين لدى اعضائه الذين يأبى القلم تسطير ما اتوه من المظالم التي لا يحيط بها وصف والذين اقلُّ ما يقال عنهم انهم ظلُّوا خمس سنوات يلعبون بحياة نخبة رجال هذه الديار لعب الطفل بالأُكر . وكانت سجون عاليه مـلأى بأمثال فقيدَينا من صادقي الوطنية . ومنا استنطق الشيخ فيليب واخوه حتى تحقق لديها سوء نيَّة القضاء وانهما صائران الى مـا كان قد صار اليه نخبة من رجال سورية ولبنان الذين كانوا موقوفين معهما وسيق بعضهم الى الشام والبعض الآخر الى بيروت حيث تنفذ فيهم

حكم الاعدام كشفيق المؤيد والزهراوي ورفاقهما الذين سيذكر السوريون طويلاً جرأتهم وتقديمهم حياتهم ضحيةً للوطن الناعس . فبدماء اولئك الابطال استحقّت البلاد ان تطهّر من العنصر التركي ومفاسده .

ولا بدّ لنا هنا من ان نُثني ثناء عاطراً على وطنية اخواننا المسلمين العرب الذين رغماً عن الروابط الدينيَّة التي توطهم بالاتراك لم يُخدعوا بمواعيدهم المرقوبيَّة بل استاءوا اشدَّ الاستياء ممّا اتوه من المظالم وارتكبوه من الجنايات الفظيعة وشرعوا يهتمون الاهتمام كلّهُ لمستقبل البلاد . والذي ساعد على ذلك كل المساعدة ومن حيث لا يدري إنّما هو جمال باشا . فسياستهُ الخرقاء وهمجيّة اسلوبه حفرت بين العرب والاتراك هاوية عميقة فصلت بين العنصرين انفصالاً ليس بعده اتصال

قلنا ان شهيدينا علما من الجلسة الاولى سوءنيَّة قُضاتها ومذ ذاك الحين تدرّعا بالصبر الجميل وبفضل ما امتازا به من التديُّن والوطنية وشهامة النفس اخذا ينتظران الموت برباطة الجأش غير مكترثين الّا للتأهب للاقاة الخالق فلم يكونا يتناولان من الاطعمة المرسلة اليهما الّا ما يكفي لحفظ حياتهما والباقي كان يجودان به على الفقراء. وكان كتاب الاقتداء بالمسيح سميرهما في كل تلك المدة فلم يكونا ينقطعان عن الصلاة الّا الى التأمل والمفيد بآيات المسجديَّة التي كان بعضها يوافق حالتهما اشدّ الموافقة فيشدد عزائمهما اذ يبدد عنهما الكروب الزائلة ويُفرح قلبهما بالخيور الابدية . وقد شهد الكاهن الذي ساعدهما في ساعتهما الاخيرة انهما تأهّبا للموت تأهب الابرار فاتناولا الزاد الاخير بكل خشوع واخذا ينعشان في قلبيهما شواعر التوقان الى الوطن السماوي . وعند ما اقتادهما الجند الى الحل المعدّ لإعدامهما اجتازا المسافة تاليين طلبة العذراء عليها السلام . ولمَّا بوشر بتلاوة الحكم عليهما لاح لاحدهما ان اخاه يهمّ ليفهم شيئاً من النص التركي علَّهُ يعرف السبب في إعدامهما فقال له اخوه : لا تزعج قلوبنا وعقولنا الى الملاء يا اخي ولندع الناس يقرأون ويحكمون كما يشاؤون . ثم ما لبث ان قُضي الامر وطارت روحهما الى الخالق فاصيب لبنان بخسارة اثنين من أخلص واعزّ بنيه وفقدت فرنسة بهما شهمين كانت قد اختبرت اخلاصهما وامانتهما وتناولت الخسارة فيهما الدين ايضاً لانها كانا من اشدّ انصاره محبّيه الى الناس باقوالهما ولاسيا بثباتهما

قلنا وتأييداً لما تقدّم نثبت هنا بعض فقرات من وصيتهما الاخيرة

"... فيليب وفريد الخازن وهما على اهبة ركوب السفر الطويل الى امام الديان الرهيب يسألان سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي صلواتهِ المقبولة لديهِ جلَّ شأنهُ ليرحم نفسيهما الفقيرتين بالاعمال الصالحة فيكون لهُ الفضل دنيا واخرى. ثمَّ يرجوان ان يحيط الغلام (وهو كلوفيس ولد احدهما فيليب) وعائلتيهما بذات العناية والالتفات اللّذين متعنا بهما ويسهر على تربيتهِ وتلقينهِ الآداب والعلوم الصحيحة عملاً بالمبادئ الدينيّة موجباً على والدتهِ ان تسهر بعين لا تنام على إبعادهِ عن العشرة الرديَّة المفسدة للاخلاق لان التربية الاولى هي الاساس المتين الذي يبنى عليه مستقبلهُ ديناً ودنيا. على انه اذا كانت دعوته للكهنوت فعلى سيادته تتكل باقناع والدته بعدم معارضتهِ. (ثم يسألان المساعدة على ايفاء الديون ابراء لذمتهما ......) وقصارى القول نرجو ان يعمل ما هو موافقاً لبراءة ذمتنا ومصلحة الغلام وراحة بال قرينتينا المنكودتي الحظ ونسأل الله ان يكافيهُ عن اعماله هذه اضعاف حبَّات الرمال

"وقبل الختام نسأل سيادة عبدالله مغفرة على ما حمّلناه من الاثقال بنا وبعائلتينا بعد براحنا هذه الدنيا ونشكر له كلّما ابداه وشقيقهُ معنا من المروءة النادرة والمساعدة والحب والاهتمام بنا والفضل ونسألهُ ان يظلّل الغلام بعنايته ويشملنا وغبطتهُ وسائر الاساقفة والكهنة اصدقاؤنا بالصلوات. عن سجن عاليه في ٤ حزيران سنة ١٩١٦ بعد ظهر الاحد

ولدك فريد قمدان الخازن

ولدك فيليب قمدان الخازن

اوصيك بعائلتنا وان كان لا لزوم لهذه الوصية فريد

المحاورة الدينيّة

التي جرت بين الخليفة المهديّ وطيماثاوس الجاثليق (تتمَّة)

فلكنا المظفر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب ؟

فجاوبتهُ قائلاً: انّنا نسجد للصّليب لانّهُ علّة الحياة

فقال لي ملكنا تكرارًا: انّ الصليب ليس علّة الحياة بل علّة الموت

فجاوبتهُ : ايّها الملك ان الصليب هو علّة الموت كما قلتَ ولكنَّ الموت هو علّة القيامة والقيامة هي علّة الحياة وعدم الموت . فاذًا الصليب ايّها الملك هو علّة الحياة وعدم الموت فلذلك نتقدّم بواسطتهِ السجدة لله تعالى الذي فتح لنا بهِ ينبوع الحياة وعدم الموت . فذاك الذي قال في البدء (٢ كور ٤ : ٦) : « انهُ من الظلام يُشرق النور » وقد أحلى المياه المُرّة بخشبة مرّة (خروج ١٥ : ٢٣) وبنظر الحيّة القتالة اعطى الحياة لبني اسرائيل (عدد ٢١ : ٩) هو أخرج لنا من خشبة الصليب ثمار الحياة وهو ايضاً اشرق لنا بين اغصان الصليب أشعّة الحياة وعدم الموت . وكما اننا نبذل الجهد في إكرام الاشجار وخدمتها حبًّا باثمارها هكذا نحن نكرّم الصليب ونوقره اجلالاً لثمرة الحياة التي خرجت منهُ . ثم ولئن تتلألأ اشعّة محبّة الله الساطعة نحو الكل في المخلوقات المنظورة والغير المنظورة ولكن لمّا أُسلم الى الموت على خشبة الصليب حبًّا بخلاص الكل وحياتهم وانبعاثهم ازدادت اكثر اشعّة هذهِ المحبة تلألؤًا نحو الناطقين . فبالصواب ايّها الملك الظفر يُفترض على الكل ان يُظهروا محبتهم لله بواسطة الصليب الذي أظهر بهِ تعالى محبتهُ نحو الجميع

وملكنا قال لي: ايمكن ان يموت الله كائناً ما كان ؟

فجاوبتهُ قائلًا : ان يسوع بما انهُ إلهٌ لم يَمُت بل مات في الطبيعة البشريّة بما انهُ انسان . فكما ان الإهانة تُنسب للملك نفسهِ حينما ينشقّ ارجوانهُ باهانةٍ او تتمزّق ثيابهُ الملوكية بحقارةٍ هكذا موت يسوع عليهِ السلام الذي صار لهُ في الجسد يُنسب لاقنومهِ الألهي

وملكنا قال لي: أعوذ بالله انّ عيسَى عليهِ السلام « ما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبِّهَ لهم هكذا » (سورة النساء ١٥٦)

فجاوبتهُ قائلًا : انهُ مكتوب في سورة عيسى (١ وهي « السلام عليّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعَثُ حيًّا » فيتّضح من هذه الآية جليًّا ان يسوع قد مات وقام . وفي سورة آل عمران (ع ٤٨) : « قال الله لعيسَى انّي متوفيكَ ورافعُكَ اليَّ »

فملكنا قال لي : إنَّ عيسَى لم يَمُت بعد وسوف يموت

(١ تدعى اليوم هذه السورة سورة مريم (ع ٣٠)

فجاوبتهُ قائلاً : ان كان عيسى لم يَمُت حتى الآن فلم يصعد بعدُ الى السماء ولم يُبعَث حياً بل سوف يصعد فيُبعَث حياً . ولكن ان كان ايها الملك معلوماً ومقرّراً لدى الجميع صعود يسوع الى السماء منذ أمدٍ مديد وانبعاثهُ حياً كما يشهد عن ذلك كتابك ايضاً فبصوابٍ تقول ان عيسى قد مات على خشبة الصليب كما تنبأ عنهُ الانبياء قبل مجيئهِ

فلكنا قال لي : وايّ من الانبياء تنبأ عن عيسى انهُ يموت على خشبة الصليب ؟

فجاوبتهُ ان كثيرين من هولاء تنبأوا عن ذلك فاوّلاً قال داود النبي (مز ٢١ : ١٧–١٩) : « ثقبوا يديّ ورجليّ وأحصوا كلّ عظامي وهم نظروا وتفرّسوا فيّ وقسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا » . وقيل في الانجيل ان هذهِ جميعها قد جرت بالفعل . ثم اشعيا النبي يقول عن المسيح (٥٣ : ٥) انهُ « يُذبح لاجل خطايانا ويتّضع لاجل آثامنا » . ويقول النبي المشار اليه بمنزلة شخص عيسى (٥٠ : ٦) « جسدي اعطيتهُ للضاربين وخدّي للناتفين لم أستر وجهي عن المعيّرين والباصقين » . ثم ارميا النبي (١١ : ١٩) يقول هكذا : « وانا مثل حملٍ داجنٍ يُساق الى الذبح وانهم فكرّوا عليّ نيّات قائلين : لنُلقينّ العود في خبزهِ ونهلكهُ من ارض الاحياء » . وايضاً دانيال النبي (٩ : ٢٦) يقول : « ان المسيح يُقتَل ولا يكون لهُ » . كذلك زكريا النبي (١٣ : ٦) يقول : « ما هذهِ الجروح في يديك ؟ فيقول : هذهِ التي بها جُرحتُ في بيت احبائي . يا ايها السيف انتبه على راعيّ » . فذلك واكثر من ذلك قال الانبياء عن موت المسيح وقتلهِ وصلبهِ

ثم ملكنا قال لي : ان الانبياء تشبيهاً شبّهوا المسيح هكذا

فجاوبتهُ : ممّن اتاهم هذا التشبيه ايها الملك أمن الله او من الشيطان ؟ فان كان من الله سبحانه كيف كان يوحي الى الانبياء ما ليس لهُ وجود حقيقةً اذ لا يليق بهِ تعالى مطلقاً ان يُوحي شيئاً يُغشّ بهِ الناس . فان كان الله جلّ شانهُ اتى بهذا التشبيه الخالي عن الحقيقة والحواريّون كتبوا ما اوحي اليهم فصار هو علّة هذا الغشّ للجميع ولكن هذا محال و غير ممكن . فمن أتى بكذا التشبيه واظهرهُ للحواريّين ؟ هل الشيطان ؟ ولكن أيّة مشاركة للشيطان اخزاهُ الله مع الحواريّين في الامور المختصّة بالعناية الربانيّة ومن يتجاسر على القول بان الشيطان الرجيم كان يستطيع ان يغشّ الحواريّين الذين

كانوا بالقوّة الآلهيّة يضطهدونهُ ويطردونهُ وهو كان يهرب من امامهم مُدبِراً ومُولولاً ؟ فاذاً يجب القول انّ ذلك موحًى من الله

وملكنا قال لي: انَّ عيسى المسيح كان مكرّماً لدى الله فلم يكن ليسلّمهُ بيد اليهود ليقتلوهُ

فجاوبتهُ قائلاً: انَّ الانبياء الذين احتملوا القتل من اليهود لم يصيروا بذلك مرذولين لدى الله ومحتقرين فاذاً ليس كلُّ مقتول من اليهود مرذولاً ومحتقراً. هذا ما يلاحظ الانبياء. واماً نظراً الى يسوع المسيح فنقول انَّ اليهود قد صلبوهُ حقيقةً لا من حيث كان ضعيفاً ولم يقدر عليهم بل من حيث احتمل ذلك بارادتهِ كما قال هو في انجيل يوحنا (١٠: ١٧): «اني اضع نفسي لآخذها ايضاً. ليس احدٌ يأخذها مني بل أضعها انا من ذاتي: لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها ايضاً». فالمسيح اذاً اظهر بذلك انهُ تألم بارادتهِ ولا من اجل انهُ كان ضعيفاً واليهود اقوياء. لانَّ الذي زعزع السماء وهو على خشبة الصليب وزلزل الارض واظلم نور الشمس واظهر علامات الدم في القمر ومن اجلهِ الصخور تشقّقت والقبور تفتّحت والموتى انبعثت لم يكن حقيقةً ضعيفاً ولا ممّن لا يستطيع ان يخلّص نفسهُ من يد اليهود فاذاً تألّمهُ على خشبة الصليب كان بارادتهِ وحريّتهِ

فملكنا قال لي: فاذاً اليهود ليس لهم ذنب في صلب المسيح وموتهِ لأنهم كمّلوا ارادتهُ

فجاوبتهُ هكذا: ان كان اليهود صلبوا المسيح لاجل هذهِ الغاية وهيَ ان يقوم من بين الاموات منوّراً ويصعد الى السماء ممجّداً فليس لهم ذنب لا بل يستحقون المدح والتبجيل ولكن غاية اليهود في صلب المسيح اذ كانت موجّهةً الى قتلهِ واهلاكهِ من الارض لاجل ذلك يستحقّون العذاب والموت لانهم صلبوا المسيح لكي يهبط الى الجحيم. فالله مجّدهُ اذ اقامهُ من بين الاموات واصعدهُ الى السماء

وملكنا محبّ الله قال لي: ايّاً من هذين الامرين تقول هل كان المسيح يريد ان يُصلَبْ ام لا ؟ فان كان يريد فاليهود ليس لهم ذنب لانهم عملوا ارادتهُ فلماذا يكونون ملعونين ومرذولين ؟ وان كان صُلِبَ دون ارادتهِ فاليهود صاروا اقوى منهُ فكيف يمكن ان يكون ويُدعَى الهاً من لم يستطع ان ينجّي نفسهُ من يد صالبيهِ؟

فارادتهم صارت اقوى من ارادته جداً

فجاوبته انا ايضاً معترضاً عليه : ماذا يفتكر ملكنا النقيّ الذهن والغزير الحكمة أيّاً من هذين الامرين يقول : هل كان يريد الله سبحانهُ ان الملاك يصير شيطاناً ام لا؟ فان قلتَ ايجابياً فلم يبقَ عتاب على الشيطان اذ صار هكذا لانهُ صنع الارادة الالهيّة وكلها . وان جاوبتَ سلبياً فارادة الشيطان اذاً تغلّبتْ على ارادة الله وقويت . فكيف يمكن ان يكون ويُدعى إلهاً ذاك الذي غُلبتْ ارادتهُ من ارادة ابليس ؟ اقول ايضاً : هل كان يريد الباري سبحانهُ ان يُطرَد آدم من الجنّة (اي من الفردوس) ام لا ؟ فان قلتَ ايجابياً فينجو الشيطان من العتاب لانهُ ساعد ارادة الله جلّ شانهُ في اخراج آدم من الجنّة وطردهِ منها . وان جاوبتَ سلبياً فكيف لا تقول ان الله غُلبتْ ارادتهُ واضحى ضعيفاً اذ من دون مشيئتهِ حدث هذا الامر ؟ فكما ان الباري تعالى لا يزال إلهاً قديراً وان اخطأ ابليس وآدم ضدّ ارادتهِ الالهيّة . ثم ان آدم وابليس لا يخلوان من الذنب وان كان ارتضى الله بكليهما اي بان ابليس يسقط من السماء ويُطرد آدم من الفردوس وذلك لانهما لم يكونا مخطئين تبعاً لارادتهِ تعالى بل لاجل تكميل ارادتهما في الخطيئة . هكذا يسوع المسيح لا يزال ان يكون ويُدعى إلهاً ذا القدرة وان قلنا ان اليهود تجاسروا وصلبوهُ بإثمهم فلا يقدرون ان ينجّوا انفسهم من الجحيم واللعنة وان كان المسيح قد ارتضى بان يتألم على خشبة الصليب حباً بخلاص البشر لان اليهود لم يصلبوا عيسى تبعاً لارادتهِ بل لاجل البغضة والحقد نحوهُ ونحو الذي ارسلهُ فلهذا السبب صلبوهُ اي لكي يموت ويَهلك من الارض واماّ المسيح فانهُ اراد ان يُصلَبْ حتى بموتهِ يُحيي الجميع كما قلنا

وملكنا المظفّر قال لي : ايها الجاثليق ينبغي ان تعلم كما ان الله عزّ وجلّ اعطى اولاً الناموس اي الشريعة على يد موسى وبعدهُ الانجيل على يد عيسى هكذا ايضاً جعل الخلاص على يد محمّد عليهم السلام

فجاوبتهُ قائلاً : أيها الملك نظراً الى الشريعة الموسويّة التي كانت مزمعة ان تنتسخ قد سبق الله واعلن عنها جهراً بفم الانبياء . اذ قال الله تعالى في ارميا النبي (٣١ : ٣١—٣٤) هكذا : «ها انَّ اياماً تأتي يقول الرب وأعاهد آل اسرائيل وآل يهوذا

عهدًا جديدًا ليس مثل العهد الذي عاهدتُ بهِ اباءَهم يوم امسكتُ بايديهم لأُخرجهم من ارض مصر حيث هم نقضوا عهدي وانا سَئمتهم يقول الرب. بل هذا يكون العهد الذي بهِ أُعاهد آل اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب أجعل شريعتي في احشائهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهًا وهم يكونون لي شعبًا ولا يعلّم ايضًا الرجل صاحبهُ والانسان اخاهُ قائلًا: اعرفوا الرب لانهم سيعرفونني بأجمعهم من صغيرهم الى كبيرهم». فهذهِ الآيات تُعلِن واضحًا بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسوي وباتيان العهد الجديد اي الانجيل واثباتهِ. وايضًا في يوئيل النبي يتكلم الله عزَّ وجلَّ صريحًا عن المعجزات المزمع حدوثها في زمان انتساخ الشريعة الموسويَّة واثبات الانجيل وعن الروح الفارقليط الذي كان عتيدًا ان يحلَّ على الحواريين فيقول (٢: ٢٨): «ويكون بعد هذهِ اني أُفيض روحي على كل بشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلامًا ويرى شبانكم رؤًى وعلى العبيد ايضًا وعلى الإماء أُفيض روحي في تلك الايام». فيريد بالروح الفارقليط الذي بعد صعود يسوع المسيح الى السماء أُرسِل الى الحواريين كما سبق عيسى ووعدهم. ثم يقول النبي المشار اليهِ (ع ٣٠–٣١): «واجعل مُعجزاتٍ في السماء وعلى الارض دمًا ونارًا واعمدةً من دخان فالشمس تتحوّل الى ظلمةٍ والقمر الى دمٍ» فهذهِ جميعها جرت امام الكل عندما تألّم يسوع المسيح على خشبة الصّليب. فلمّا انذر بهذهِ الآيات يوئيل النبي اردفَ قائلًا (ع ٣١): «انّهُ ياتي يوم الرب العظيم المخيف» يريد اليوم الذي بهِ كلمة الله المتأنس في طبيعتنا يظهر من السماء كالبرق مع قوَّةٍ ومجدٍ كثيرٍ « ذاك اليوم الذي بهِ جميع قوّات السماء تتزعزع والنجوم تسقط من السماء» كما قال يسوع نفسهُ في الانجيل (مرقس ١٣: ٣٥) ثمّ يقول هذا النبي (ع ٣٢): «ويكون كلُّ من يدعو باسم الرب ينجو» اي كل من يقرأ انجيل الله ويفعل بما يأمر بهِ ينال الحياة الدائمة. فاتّضح اذًا ان الله بهذهِ الايات المنزّهة عن كل غشّ وكذب أعلن جليًّا بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسويّ وبالانتقال منهُ الى العهد الجديد اي الانجيل. ولكن لم يعلم سبحانهُ تعالى في موضع البتة عن انتساخ الانجيل والانتقال منهُ الى شيءٍ آخر اي الى القرآن. ثم انَّ العهد القديم كان رَمزًا عن الانجيل والانجيل هو رمزٌ عن ملكوت السماء الذي لا شيءَ افضل منهُ.

وملكنا المظفر قال لي: أليس موسى عليهِ السلام قال علانيةً لبني اسرائيل في تثنية الاشتراع (١٨: ١٥): «ان الرب سوف يُقيم لكم نبياً مثلي من بين اخوتكم» فمن هم اخوة بني اسرائيل سوى الاسمعيليين؟ ومن صار نبياً مثل موسى سوى محمدٍ؟

فجاوبتهُ قائلاً: أيها الملك انه يوجد اخوة كثيرون لبني اسرائيل في هذا الاعتبار ما خلا الاسمعيليين. فاولاً ان الآدوميين هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل وذلك لان الاسرائيليين قد وُلدوا من يعقوب والادوميين قد تسلسلوا من عيسو. واماً يعقوب وعيسو فكانا ابني اسحاق ابي اليهود واخي اسمعيل الذي منهُ المسلمون فاذًا هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل. وان كان الكلام الذي قالهُ موسى عن اخوة بني اسرائيل لا يُطلق على اسباطهم الاثني عشر بل على انسبائهم الأُخر نقول انهُ ينبغي ان يطلق بالأحرى على الادوميين لانهم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل كما رأينا. ثانياً ان اخوة الاسرائيليين ما هم الاسمعيليون فقط بل والعمونيّون والموابيّون. ثم ان موسى لم يَقُل للاسمعيليين بل لبني اسرائيل «ان الرب يقيم من اخوتكم» ولا من الغرباء. نبياً مثلي ولا مخالفاً لي في التعليم. فهذهِ الآية تشبه تلك التي خاطب بها الباريْ تعالى شعبهُ عن ملكٍ قائلاً (١ ملوك١٢: ١٣) «من بين اخوتك اقيم عليك ملكاً». فكما إنّ إقامة هذا الملك من بين اخوة بني اسرائيل لا تدلّ على بني اسمعيل هكذا اقامة نبيّ من بين اخوتهم لا تشير الى بني اسمعيل. وايضاً ينبغي ان ننظر الى التشبيه المصرّح في هذهِ الآية حيث يقول موسى لشعب اسرائيل: «ان الرب يقيم لك نبياً مثلي» فان كان محمد نبياً مثل موسى كان يقتضي ان يصنع ايات ومعجزات كثيرة كما فعل موسى ولكن محمدًا لم يأتِ بمعجزات البتّة فاذًا ليس محمد مثل موسى. ان كان محمّد نبياً مثل موسى كان ينبغي ان يحفظ التوراة ويعلّم الناموس الذي أُعطي في جبل سينا ملازماً مع الختانة السبوت والاعياد كما كان يفعل موسى ولكنّ محمّدًا لم يعمل بذلك فاذًا ليس هو مثل موسى

وملكنا قال لي: انّ كلامك ظريف ومعانيك حسنة لو قبلتَ محمدًا بين الانبياء.

فجاوبتهُ هكذا: انهُ مذكور عندنا ان نبياً واحدًا يأتي الى العالم بعد صعود يسوع الى السماء ومن قبل نزولهِ من هناك. كما تعلمنا ذلك من ملاخي النبي ومن جبرائيل الملاك الذي بشّر زكريا بحبل يحيى ابنهِ

وملكنا قال لي : ومن هو هذا النبي الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبتهُ هكذا : هو ايليا لان الله تعالى في ملاخي النبي الذي اتى اخيرًا بالنبوة في العهد العتيق يقول عنهُ (٤ : ٤–٥) هكذا: « اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرتهُ بها في حوريب لكل اسرائيل اوامر واحكاماً هاءنذا أُرسِل اليكم ايليا النبي قبل ان يجيءَ يوم الرب العظيم المخيف فيردّ قلوب الاباء على الابناء وقلوب الابناء على آبائهم لئلا آتي انا واضرب الارض بالحرم » . وجبرائيل الملاك لمّا بشّر زكريا بحبل يحيى أتى بهذا الكلام نفسهِ في لوقا (١ : ١٩) : « فقال لهُ الملاك : لاتخف يا زكريا لان صلاتك سُمِعَتْ وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميهِ يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادتهِ لانهُ يكون عظيماً امام الربّ ومن بطن امهِ يمتلئ من الروح القدس ويردّ كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلاههم ويتقدَّم امامهُ بروح ايليا وقوّتهِ ليردّ قلوب الآباء على الابناء والعصاة الى فكر الابرار لكي يهيّئ للربّ شعباً مستعدًا » . فانظر يا ايها الملك المظفر كيف ان الملاك يدعو عيسى المسيح ربّاً والاهاً . ثم ان الآيات السابقة تعلّمنا ما يأتي اي انهُ كما ان يحيى بن زكريا سبق بمجيء يسوع المسيح وأرى الجميع شخصهُ قائلًا (يوحنا ١ : ٢٩) : « هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطيّة العالم » وقال ايضاً (١ : ٣٣) : « هذا هو الذي يعمّد بالروح القدس والنار هذا هو ابن الله الذي لستُ مستحقًّا ان احلّ سيور حذائهِ » . هكذا سوف يأتي ايليا النبي قبل شروق عيسى المسيح من السماء فيسبق منذرًا جميع الناس ومحرّضاً اياهم على ان يكونوا بظهورهِ المجيد الثاني مستعدّين للقائهِ ومو بّخًا المسيح الدجّال . فلا فرق بين يوحنا المعمدان وايليا النبي نظرًا الى قوّة الروح المتكلم فيهما اذ انهُ واحد الاَّ انّ يوحنا المعمدان قد اتى وايليا سوف يأتي امام يسوع المسيح الذي سيظهر من السماء بقوةٍ ومجدٍ كثيرٍ ليقيم البشر من بين الاموات لانهُ كلمة الله وخالق في البدء كل البرايا فهو يجدّدها اخيرًا كلها وهو ملك الملوك وربّ الأرباب ولملكهِ لا يكون انقضاء .

ثم ملكنا العزيزة حكمتهُ قال لي : لو لم تغيّروا التوراة والانجيل لكنتم تشاهدون محمدًا ايضاً مع الانبياء الأُخر

فجاوبتهُ قائلًا : ايها الملك المعظّم إنّ الله تعالى منحكم التاج والعرش

والصولجان الملكي ومع هذه كلها اعطاكم ايضاً ذهناً غزيراً وقلباً وسيماً ومستعداً لتدبير أمور الجماعة والأفراد كما تستحق دولتكم ذلك فيليق بشأنكم العزيز ان تفحصوا عن جميع هذه الامور التي تقولون عنها فايّ شيءٍ كان يحملنا على ان نغيّر الكتب لان التوراة والانبياء يصيحان جملةً كصوت الرعد ويعلنان عن الوهيّة المسيح وعن ناسوته وعن ولادته الالهيّة العجيبة التي صارت من الآب قبل كل الدهور التي لا يقدر احد ان يصفها البتّة كما قال اشعيا النبي (٥٣ : ٨) : «وجيلهُ مَن يصفهُ». فهو الذي قيل عنهُ (مز ١٠٨ : ٣) : «من البدء قبل خلقة العالم ومن رحمٍ قبل الفجر ولدتُك» وايضاً (مز ١٧ : ١٧) : «وقبل الشمس موجود اسمهُ». وعن ولادته الزمنية من الأمّ يقول اشعيا النبي (٧ : ١٤) : «ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عمانوئيل». وإنّ داود الملك واشعيا والانبياء جميعهم يعلّمون صريحاً وواضحاً عن العجائب والمعجزات التي كان عتيداً ان يفعلها في وقت ظهوره بالجسد وعن معرفة الله الحقيقة التي كانت تتلى منها المسكونة في وقت مجيئه الى العالم ويخبروننا عن آلامه وصلبه وموته بالجسد كما قلنا آنفاً. ويتكلمون ايضاً عن قيامته من بين الاموات وعن صعوده الى السماء وعن مجيئه الثاني الى العالم وعن قيامة الموتى وعن الدينونة التي يدين بها الجميع لانهُ الهٌ وكلمة الآب. ولمّا كان التعليم المسيح كلّهُ محتوياً في التوراة والانبياء فلأجل اي سبب كنّا نغيّرهُ ؟

ثم لو فرضنا انّنا قد غيّرنا وحرّفنا التوراة والانبياء التي هي عندنا وبيدنا ولكن كيف كنّا نستطيع ان نغيّر ونحرّف التي هي بيد العبرانيّين ؟ ثم اذا اعترض أحد قائلًا : ان النصارى غيّروا وحرّفوا الكتب التي كانت بيدهم واليهود صنعوا كذلك بكتبهم. فنقول لاي سبب لا يغيّر ويحذف اليهود الآيات الموجودة في كتبهم التي تفتخر بها الديانة المسيحية وتستند عليها اذ ليس توجد عداوة في العالم مثلما كانت قبلًا والآن بين النصارى واليهود واذ قلنا ان اليهود غيّروا وحرّفوا كتبهم فكيف نحن كنّا نسكت عن هذه الآيات المحرّفة من هولآء اذ عليها يقوم مدار ديانتنا ولكن لا النصارى ولا اليهود غيّروا او حرّفوا الكتب كما تشهد العداوة الموجودة بينهم التي من سببها لا يمكن يتفقوا مع بعضهم في كذا أمرٍ مهمّ فاتضح اذاً انهُ لم يكن ممكناً ان يتفق مع ان بعضهم النصارى واليهود في تحريف الكتب ولا تنكر

ان اليهود يخاصموننا في شرح بعض الكلمات والاسماء وعن الأزمنة . ولكن نظراً الى وجود الالفاظ والكلمات وحقيقتها ليس مخاصمة بين بعضنا قط لان الألفاظ والكلمات هي موجودة عند الطرفين على حدٍّ سواء . فيا ايّها الملك نحن لم نغيّر او نحرّف التوراة والانبياء

وكذلك ينبغي ان نقول عن الانجيل لان ما قال الانبياء الاوّلون عن المسيح هو هو مكتوب في الانجيل عنهُ . فاذاً واحدٌ هو شعاع النور الذي يضيء لنا من التوراة والانبياء والانجيل . ولكن مع هذا الفرق وهو انّه في التوراة والانبياء قد سبق الكلام والرموز وفي الانجيل ظهرت الأفعال والحقيقة فالانجيل ينذرنا بما علّمَ الانبياء عن لاهوت المسيح وناسوتهِ دون أدنى تغيير لان واحداً هو معطي التوراة والانجيل وهو الله

ثم لو غيّرنا وحرّفنا الكتب لكنّا نجتهد في تغيير الأمور المظنونة دنيّةً وحقيرةً ومضادّةً لديانتنا كالخوف والضرب والآلام والصليب والموت وما اشبهَ ذلك ولكن ليس فقط لم نغيّر هذه الامور بل نفتخر بها ونكرّمها كما نفتخر بالأمور التي هي سامية في ديانتنا وعظيمة ونكرّمها . لاننا كما نعتقد في يسوع انّهُ اله ليس له بداءة ولا نهاية وهو مُساوٍ للآب بالطبيعة هكذا نعتقد بهِ انّهُ انسان حقيقةً وهو مساوٍ لنا بالطبيعة البشريّة

فلم نغيّر او نحرّف ايّها الملك سطراً واحداً من كتاب الله . فلو كان موجوداً اسم محمّد في كتبنا لكنّا ننتظر الى مجيئهِ بالاشتياق كما اشتقنا الى استقبال الذين كتب عنهم الانبياء . ثمّ ايّة قرابة لنا مع اليهود اكثر ممّا لنا مع الاسمعيليّين ؟ ولماذا كنّا نقبل المسيح الذي هو من جنس اليهود ونرفض محمّداً الذي ظهر من ذريّة الاسمعيليين ؟ لانّ واحدة هي قرابتنا بالطبيعة مع الاسمعيليين ومع اليهود . والحق يضطّرني ان اقول ان قبل ظهور المسيح كان اليهود ذوي اعتبار عند جميع الامم وعند الله ايضاً وبعد ظهور كلمة الله في الجسد منهم صاروا مرذولين ومحتقرين عند الله والناس لأنّهم غمّضوا عيونهم لئلاّ يبصروا ويتمتّعوا بالنور الذي أتى الى العالم ليُغيّر البشر فأضحى اذاً اليهود مبغضين ومكروهين من كل احدٍ . وامّا الاسمعيليون فبالعكس فانّهم مكرّمون معتبرون عند الله والناس لتركهم عبادة الاوثان والشيطان

وسجودهم وتكريمهم لله وحده فلذلك يستحقون ان يحبهم الجميع ويكرموهم. فلو وُجد في الكتب نبوة ما بحقهم ليس فقط لم نكن ننفيها ونحرّفها بل كنا ننظر اليها بفرح عظيم وننتظر تمامها كما ننتظر ذاك الذي سيأتي في المتعى كما قلنا عنهُ اعلاه. لأننا لسنا منتحين وصايا الله بل بالأحرى نحفظها بكل تدقيق

وملكنا قال لي متبسماً: فلنترك الآن المحاورة ونتكلم عن هذه الأمور في وقت آخر حينما يصير لنا فرصة لنعكف عليها

فنحن مجدنا الله الذي هو ملك الملوك وربّ الأرباب وهو يعطي الحكمة والفهم للملوك لكي يدبّروا ممالكهم بالعدالة والرّحمة. ثم دعونا للملك ولدولته طالبين من الله ان يؤيدها ويحفظها في العالم دائماً وان يثبت سدّة عرشه بالعدل والبرّ الى الابد لمين. وهكذا خرجنا من عنده

قبر عزرا الكاتب (١

للاديب يوسف افندي غنيمة

توطئة

عزرا والعرب يدعونهُ باسم عُزَير هو الكاتب والكاهن الذي كان في خدمة ملك بابل ارتحشستا المعروف بالطويل اليد الذي ملك من السنة ٤٦٦ الى ٤٢٦ قبل المسيح. يرتقي نسبهُ الى هارون (سفر عزرا الاول ٧ : ١-٥) وهناك ورد شيء من تاريخه (١عزرا ٧ و ١٠ ثم ٢ عزرا ٨-١٣) وذكرهُ يوسيفيوس في العاديات العبرانية (ك ١١ ف ٥ ع ١-٥). حظيَ لدى ملك بابل ونال منهُ اذن بعود الى اورشليم مع قسم من اهل الجلاء الذين لم يعودوا مع زربابل وكان عددهم ١٧٠٠ واهداهُ مئة وزنة فضة فكان وصوله الى اورشليم في غرة الشهر الخامس من

---

١) هذا فصل استللناه من كتابنا «نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق» الذي انجزنا تأليفه ولم نطبعه بعد. وقد نشرنا فذلكةً منه في مجلة المقتطف الغرّاء (ايلول وتشرين الاول ١٩٢٠) ونشرنا ثلاثة فصول في وضيمة دار السلام في بغداد (٢٢ آب و ١٩ ايلول و ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٠) وهذا فصل لم ينشر بعد ارصدناه للمشرق الاغرّ

السنة ٤٥٩ ق م فسعى باصلاح احوال اليهود في فلسطين وتطبيقها مع امور الشريعة فاستحق بذلك شكر أمّتهِ. ثمَّ ساعد نحميا في اصلاحاتهِ ايضاً سنة ٤٤٤ (٢ عزرا ف ٣ : ١ و ٨ : ١). وكانت وفاتهُ قبل السنة ٤٣٣. وعلى رأي يوسيفوس انهُ توفّي في اورشليم. وفي تقليد اليهود انهُ عاد الى بابل فزعم بعضهم انهُ فيها توفّي ولهُ من العمر ١٢٠ سنة وارتأى غيرهم انهُ توفّي في زمزومو على ضفّة نهر دجلة قريباً من القرنة حيث تجتمع دجلة والفرات في شط العرب. وهناك مشهد على اسمه. يحجّ اليهِ اليهود منذ قرون عديدة. وهو الذي ورد هنا وصفهُ (المشرق)

يقوم هذا المعهد الديني اليهودي في بقعةٍ من الارض على عَدْوة دجلة اليمنى بين القرنة والعمارة على مقربة اثنين وعشرين ميلاً من ملتقى الرافدَين حيث تكثر المستنقعات وتتوفّر القصباء والحلفاء. هناك في تلك الخلوة البعيدة عن ضجيج الناس وقلاقل المدن. هناك حيث يسود السكون والهدوء وتجري دجلة متعرّجة وملتوية حاملة بين امواج مياهها من ذكرى التاريخ أبدعها ومن عِبَر الايام أوقعها في النفوس تجمل تقاليد يهود العراق مرقد عَزْرا الكاتب : كاتب الشريعة ورائد بني اسرائيل في رجوعهم الى مسقط راسهم وبيت عزّهم وقدس اقداسهم. ويحفّ بالمقام اشجار النخل الباسقة التي تهديه آيات السلام وشعائر الاحترام

اختلف ثقات المؤرخين في مدفن هذا الرجل الإمام ومحلّ وفاتهِ فمنهم من قال انه دُفن في عَورتا من اعمال نابلس (١. ومنهم من قال انه قُبر في زمزومو Zam-zumu) في اسفل دجلة بينما كان مسافراً الى بلاد فارس (٢ واثبت غيرهم انهُ لُحِد في اورشليم (٣ وربما كانت هذه الرواية على شيءٍ من الصحّة. الّا ان تقليد اليهود في العراق وتواتر روايات المؤرخين والراحلين من غيرهم يعتبران مدفنهُ في العراق حيث يزوره بنو قومهِ

امَّا نحن فلا نبتّ في هذه المسئلة التاريخية المتوغلة في القدم بل ندع الاهتمام بها الى الاثريين الاختصاصيين والمنقبين البحّاثين ربما يتوصّل واحد منهم الى إماطة اللثام عن هذه الحقيقة التاريخية الكتابية وجلُّ قصدنا في كتابة هذا الفصل ان ننقل اقدم النصوص الواردة في كتب التاريخ عن المزار العراقي اليهودي ووصفه

ان ياقوت ذكر مدفن عزرا في اعمال نابلس على ما مرَّ بك بيد انهُ ذكره ايضاً

---

١) معجم البلدان مادة عورتا ٢) Sir, E. A. Wallis Budge: *By Nile and Tigris*, vol. I, p. 171 ٣) يوسيفوس. كتاب العاديات الفصل الحادي عشر العدد الخامس

في محله في اعمال بصرة العراق في موضعين من معجم البلدان في مادتي ميسان ونهر سَمُرة واليك ما جاء عنه في كل منهما :

جاء في مادة ميسان: «اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتُها مَيسان .... وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزرا النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وانا رأيتهُ »

وجاء في مادة نهر سَمُرة : «قرية فيها قبر العُزَير النبي عليه السلام في ارض ميسان»

وقد ذكر القزويني(١ من رجال القرن الثالث عشر للمسيح مشهد عزير النبي وهو يكرّر كلام ياقوت بالحرف في كتابه آثار البلاد

وقد زاره في القرن الحادي عشر الرحّالة بنيامين التطيلي الّا ان مما يؤسف له ان في اخبار هذه الرحلة التي نشرها آشير قد سقط اسم المكان الموجود فيه هذا المزار فورد كلامهُ على هذه الصورة مبتوراً قال: «ان مدفن عزرا الكاهن والكاتب واقع في .... حيث دهمهُ الحِمام بينما كان مسافراً من اورشليم الى الملك ارتحششتا وحيث يأتي اليهود للصلاة ايام الاعياد (٢ »

وقد ذكر هذا المزار يهوذا الحريزي الذي زاره في اوائل القرن الثالث عشر وقال عنه في رحلته التي بدأ بها سنة ١٢١٧ م في الفصل الخامس والثلاثين منها ما ملخّص تعريبه : انه غادر بلاد اسبانية وسافر في البحر وكانت قِبلته بلاد الكلدان قرب شوشن وعلى مقربة منها موضع يدعى سمدا (وربما صحيحهُ نهر سمرا) وبالعبرية اهوا (٣ . فعلى بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان تقريباً قبر عزرا الموجود منذ عهدهِ الاول اي منذ بناء الهيكل الثاني الى نحو السنة الألف من الأسر . وكان بعد انقضاء هذا العهد المديد عبارةً عن كومة اطلال ولم تسمح تلك الدوارس للمطّلع الوقوف على شيء من ذلك الاثر . وقد علمنا من اناسٍ كثيرين انه منذ ١٦٠ سنة أُوحي الى

١) الطاب طبعة غوتنجن سنة ١٨٤٨ (ص ١٣٠)

٢) راجع M. Edouard Charton: *Voyageurs Anciens et Modernes, II, 188*

٣) اعتماداً على هذا النصّ نشر حضرة الاب انستاس الكرملي فصلاً في ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ في وضيمة دار السلام البغدادية رجّح فيه توحيد نهر سمُرا ونهر اهوا الوارد ذكره في سفر عزرا (٨ : ١٥ و ٢١ و ٣١) مخطّئاً رأي من سبقهُ من العلماء الكتابيين في موضع اهوا او نهر اهوا

احد الرعاة موضع رمس هذا الملك الالهي وتكررت هذه الرؤيا ثلاث او اربع مرات. وقد أيد قدرته بشفاء عين الراعي فاعاد اليه بصره. وعلى اثر ذلك دعا الراعي سكان تلك البقعة وروى لهم حلمه وعين المكان الذي فيه القبر وتأييدًا لصحة مروياته قص عليهم خبر شفائه العجيب. وعند ما الحّ عليهم كل الالحاح حفروا الارض فوجدوا صندوقًا من حديد محفوظًا في تابوت آخر مسدودٍ ومختوم وفيهِ كتابة لم يتمكن من قراءتها القوم. فتقدّم احد علماء اليهود وفكّ طلسمها وقرأ فيها اسم عزرا واسماء اجداده الى هرون الكاهن العظيم. وكانت تُشاهَد احيانًا انوار فوق ذلك القبر المحاط بقبور سبعة صالحين آخرين. وقد حاول كثيرون من الدهريّين ان يتّخذوا تلك المعجزة حادثةً غريبة من الحوادث الجيولوجية او يعتبروها انفجارًا ارضيًا منبعثًا من أطيمةٍ او ينبوع قطران تشتدّ نارهُ ليلًا (١. وقد شاهدتُ هذه المعجزة بعيني وسجدت امام هذا المظهر من مظاهر العناية الالهية (٢. اه

وقد وصفهُ ريج (Rich) (٣ في بدء القرن التاسع عشر وصفًا دقيقًا قال: «هو بناء يشبه جامعًا يقوم على لسان بارز في النهر. وقد نشأ هذا اللسان من دورة تدورها دجلة هناك حيث تلتوي كل الالتواء. وقد التفّ حول المكان عدد من الاعراب يسكنون قرية مساكنها من القصب. وموقعهُ في الجانب الايمن من النهر محاط بجدار وحصون والقبة منشأة باجرّ اخضر مطليّ بدهان الخزف (يريد الواصف بهذا الاجرّ القاشاني المشهور في العراق) يعلوها زينة من نحاس اصفر تمثل كفًا مفتوحًا تحيط به اشعة جلال. وبعد ان جزنا الباب رأينا ساحة دارٍ صغيرة ثم بلغنا قاعةً فسيحة مظلمة فيها طيقان تسندها كوم مربّعة من الاجرّ (اي اعمدة مربّعة من الآجرّ) مجرّدة من كل زينةٍ. ومن هنا جُزنا بابًا منخفضًا افضى بنا الى غرفة مودع فيها مَن هو موضوع احترام اليهود الديني. انّ سقف الغرفة معقود وفيها نوافذ صغيرة مشبّكة بالحديد

١) اشار الكاتب الى النار التائهة التي يدعوها الفرنسيون (feu follet) وتشاهد في المستنقعات والمقابر وقد ضلّ كثيرون في تعليلها فانزلوها منزلة المعجزة وما هي الّا من مظاهر الطبيعة ٢) راجع Archives de l'Orient Latin, I, 237 ٣) ان المستر ريج (Rich) كان قنصلًا انكليزيًا في بغداد سنة ١٨٠٨. راجع كتابه: Residence in Koordistan, II. p. 389

مرتفعة كل الارتفاع . والغرفة مبلّطة بآجرٍ ابيض واخضر مرصوفاً ترصيفاً متناوباً . وفي روزنةٍ صغيرة قنديلٌ موقد

« يقوم القبر في منتصف الغرفة وهو مستطيل الشكل منحرف السطح معمول من الخشب ومُسجّى بمُخْملٍ اخضر وطوله ٨ اقدام وعرضه ٤ اقدام وارتفاعه ٦ اقدام وبينه وبين كل طرفٍ من اطراف الغرفة ٣ اقدام . وكانت زواياه واعلاه مزدانة بكُريّ كبيرة من النحاس الاصفر المذهّب ... وقد اخبرنا الاعرابي الذي طوّفنا ان الذي اقام البناء الحاضر قبل نحو ثلاثين سنة هو خوف يعقوب Khoph Yacoob (ربما اراد الكاتب ان يقول خوجه يعقوب او خلفة يعقوب) »

ولا يخلو من فائدةٍ ذكر الوصف الذي وصفه به الرحّالة بنيامين الثاني (١ قال :

« وبعد انحدار ثلاثة ايام في دجلة يقوم على عدوةٍ النهر بناء مربّع في منتصف فلاةٍ فيه قبر العزير ويحيط بالبناء بعض دور صغيرة . واما البناء فيه فمؤلف من غرفتين كبيرتين متنافذتين تختصّ الاولى منهما المسلمين والثانية مع القبر اليهودَ . وهناك عتمة حالكة يقاطعها نور ضئيل يأتي من الباب . وفيه مصطبة طولها ١٦ قدماً وعلوها عشر اقدام وعرضها ست اقدام . وعلى اطرافها الاربعة كتابة لا تُقرأ اليوم وهي مسجّاة بقماش ثمين مزركش ومحلّى بالذهب . ويزوّق الغرفةَ كثيرٌ من الزين النفيسة ولا يخشى بتاتاً على سلامة تلك الكنوز وان كان موقع المزار في وسط بيداء تحيط بها عشائر البدو ... وقد كان قبر عزرا موضوع بحثي وتنقيبي اذ ان الكتاب لا يذكر موتهُ ولا محلّ دفنهِ فخامرني شك في حقيقة هذا الحدث الّا اني رغماً عن ذلك تأكدت الأمر من مطالعتي كتاب « سدر هدروث » وغيره من الكتب التاريخية ..... ان كتاب « سدر هدروث » لا يصرّح بوضع الدّفن ولهذا تمسكتُ بالتقليد اذ لم اقف على شيء اصحّ منه بعد البحث المدقق فيه

« وتحتفل جماعة من يهود بغداد والبصرة بعيد الاسابيع (شبيعوت) عند قبر عزرا

١) ان اسمهُ الحقيقي يوسف اسرائيل (١٨١٨–١٨٦٤) كان من يهود رومانية وانتحل اسم بنيامين الثاني تشبهاً ببنيامين التطيلي واحياء لذكر ذلك الرحالة الذي عاش في القرن الثاني عشر . وقد بحث في رحلته الاولى عن الاسباط العشرة المفقودة وكان عمره يومئذٍ ستاً وعشرين سنة . توفي في لندن بينا كان يتأهب لرحلةٍ ثانية للبحث عن يهود الصين

فيشتركون بالحفلات التقوية . ويعرف العربُ غاية تلك الزيارات ولا يُقيمون عقبات في سبيلها » (١ (انتهى)

وقد زرتُ (كاتب هذه المقالة) هذا المرقد سنة ١٨٩٣ فكانت تَرِد اليه جماعات اليهود من كل اطراف العراق للتعفر بثرى رفات الراقد الصالح وزيارة ضريحه في عيد الاسابيع فيدخلون غرفة الجدث وهم حفاة حرمةً للمكان ويوقدون قناديل اكراماً الراقد هناك ويطوّف القيّمُ الزائرين فينفحونه بحلوان . ومن اقسام البناء دار قوراء فيها غرف عديدة لضيافة زائري المكان من اليهود وللسكنى فيها مدة اقامتهم هناك . وقد نُكب بعد زيارتي المذكورة ببضع سنوات زوّار هذا المعهد نكبة احزنت القوم اذ هوى قسم من بناء المنزل فمات عدد منهم تحت الردم ورضّت اعضاء غيرهم . ولكن جماعة اليهود جددت ذلك البناء واحكمت أُسسه (٢

وقد جرى حول هذا المعهد معارك بين البريطانيين والاتراك في ربيع سنة ١٩١٥ ولكنه لم يصب باذى بل غاية ما كان ان اليهود لم يتمكنوا من القيام بزيارة العزير كل مدة الحرب

وآخر وصفٍ ننقل منه نتفةً للقراء يُظهر حالة المعهد في ايامه الاخيرة . ومن مقابلة كتابات الرحّالين المختلفة على توالي الاعوام يقفون على تطوّر ذلك البناء مع الزمان والوصف المذكور نُشر في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ في مجلة انكليزية (٣ قال الكاتب : ان مساحة الغرفة تبلغ نحو ثلاثين قدماً مربعاً وجدرانها بيضاء مزينة بكتابات ونقوش عربية (٤ ملوّنة بالازرق الباهر والاصفر والاحمر مما يبهر النظر وارضها مبلّطة بقطع من الرخام الملوّن وفي زواياها (اي زوايا القطع) مربّعات صغيرة من الصخر الاسود او الرخام (٥ وفي وسطها القبر ومساحته ٥×٧×١٥ قدم . انتهى

---

١) راجع Sidney Mendelssohn: *The Jews of Asia, p. 199-200*

٢) من مذكرتي ٣) راجع Blacwood's Magazine, *October 1917, P. 538*

٤) ان الصفة العربية ترجع الى النقوش فقط وكلتا الكلمتين ترجمة arabesques

٥) ان بلاط الغرفة هو القاشاني الملوّن فليس هناك رخام ولا صخر كما توهمه الكاتب

نقل الصور الشمسيّة بالمجرى الكهربائي

ومشكل التّرائي عن بُعد

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

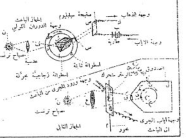
كلُّنا نعلم بل قد علم آباؤنا وبعض اجدادنا إمكان نقل الحروف المكتوبة او الكلمات الملفوظة من مكان الى آخر بواسطة المجرى الكهربائي وجهاز التلغراف او التلفون. وقد امتاز جيلنا هذا على سلفهِ باستغنائهِ في ذلك من المجرى واسلاكهِ الطويلة الكثيرة النفقات المتعدّدة بعدد وجوه المراسلة او المحادثة اذ ظهر من نحو عشرين سنة التلغراف اللاسلكيّ ومن نحو ١٣ سنة التلفون اللاسلكيّ. ففي عام ١٩٠٢ أرسل مخترعُ التلغراف الاثيري المهندسُ الايطالي مَركوني البرقية الاولى بين اوربّة واميركة. وفي ١٩٠٧ حادثَ مواطنُهُ العلاّمة مايوراما (Majorama) بدون سلك شخصاً يبعد عنهُ ٦٠ كيلو متراً

لكن مهما كان من العجب العجاب في كل هذه الاختراعات ولاسيّما في اللاسلكيَّين اللذين هما من أبهى مفاخر الجيل العشرين فايّ انسان ولو عالماً كان يؤمل في غرّة جيلنا هذا نقل الصور الشمسية بواسطة المجرى الكهربائي في ظرف بضع دقائق الى مسافات بعيدة بالغة آلافاً من الكيلومترات؟ أما كانت هذه الامنيّة في ذلك العهد تُعدّ كرابع المستحيلات. مع ذلك قد صنع هذه المعجزة الاستاذ الالماني كُرن (Korn) من كليّة مونيخ قبل سنة ١٩٠٧. ففي اول شباط من تلك السنة عرض ذلك المبتكر الجسور اختراعهُ على جلّة علماء باريس بحضرة المسيو برتو ناظر الاشغال العمومية حينذاك. فجعل في جهاز الباعث صورة شمسيّة لرئيس الجمهورية في ذلك العهد اعني المسيو فَليار ونقلها في مدّة وجيزة امام الجمهور المحتشد الى جُليدة فوتوغرافيّة ملفوفة على جهاز القابل. وكان الجهازان ظاهراً على مسافة بضعة امتار الواحد من الآخر لكنَّ البون الحائل بينهما كان بالغاً في الحقيقة ١،٠٢٤ كيلومتراً لأنَّ الباعث كان موصولاً بالسلك التلفوني المُتّجه من باريس الى ليون والقابل بالسلك العائد من ليون الى باريس. فنجح اختبارهُ نجاحاً باهراً واخذ الناس يستعينون بهِ ولا سيّما في

البعض من اصحاب اشهر المجلات الفرنسوية والانكليزية. اذا عثم استعمالهُ هذا ان كشف بعض معايب طريقة الاستاذ كُرن فقام رصيفه الفرنسوي ادوار بلان (Belin) وتوفّق الى وجود طريقة جديدة خالية من نقائص اختراع سلفهِ . فهلّم بنا الآن نفسّر هاتين الطريقتين على سبيل الايجاز باوضح ما يمكننا من الكلام

١ طريقة الاستاذ الالماني كرن

يشتمل «جهازه الباعث» على مصباح نرنست نَ (انظر الشكل الاول) وهو من أنور المصابيح الكهربائية الجاري استعمالها ذات سُلَيك متأجج . فهو يرسل اشعتهُ على عدسيَّة ع تجمعها كلها في المستوقد ف . ونقطة المستوقد واقعة على سطح اسطوانة مجوَّفة ا من زجاج تدور حول محورها وفي الوقت ذاته تنتقل على طولهِ بسرعة



(الشكل الاول) نقل الصور الشمسية على طريقة الاستاذ كُرن

متساوية . وقد أطلق على تلك الحركة المزدوجة اسم الحركة اللولبية . وهي حركة اسطوانات الفونغراف القديم الطرز . وقد لُفّت على الاسطوانة الزجاجية ا الجليدة الفوتغرافية المراد نقلها الى الجهاز القابل . وبما ان هذه متحركة مع الاسطوانة بحركة

لوليّة فمن الواضح ان كل نقطها ستمرّ الواحدة بعد الاخرى بالنقطة د الثابتة في الفضاء وهي كما اسلفنا مستوقد العدسيّة ع . والاسطوانة ا تحتوي في تجويفها على موشور زجاجي ثابت ش وهي نفسها في داخل اسطوانة ثابتة ث أدمجت في جهتها التي تجتمع فيها الاشعة الصادرة من المستوقد د والعابرة بالموشور ش . والصفيحة ص من معدن السيلينيوم (قد جعلناها في الشكل الاول خارجاً عن الاسطوانة الثابتة لزيادة الوضوح) . وفي مقدّم الاسطوانة الثابتة ث نافذة مستديرة ف صغيرة جداً يمرّ بها النور المنبعث من مصباح ن قبل انحصاره بأجمعه في المستوقد د . ومن خواصّ معدن السيلينيوم انهُ اذا أدرج في دائرة مجرى كهربائي يزيد قوّة هذا المجرى او ينقصها بنسبة ازدياد او نقصان النور الوارد اليه . وتلك المزيّة الغريبة هي الركن الاساسي لاختراع الاستاذ كُرن

قلنا انّ كل نقطة من الجليدة الفوتغرافيّة الملتفة على الاسطوانة ا تمرّ بالمستوقد د وذلك بسبب الحركة اللولبية . والحال ان لكل نقطة درجةً معيّنة من البياض والسواد وبعبارة اخرى من النور او الظلمة . وأشعة المصباح ن المجتمعة بالمستوقد د تجتمع بكل نقطة من الجليدة حين مرور هذه النقطة بالمستوقد فتنفذ هذه بتمام سطوعها او نقصانهِ او زوالهِ حسبما تكون النقطة بيضاء او بين بين او سوداء . فيترتب على ذلك ان تلك الاشعة بعد عبورها في الموشور ش تقع على صفيحة السيلينيوم ص بدرجة سطوع مطابقة تماماً لدرجة بياض او سواد النقطة المارّة بالمستوقد . ثم تزيد او تنقص قوة المجرى الكهربائي ك الواصل بين الباعث والقابل بحسب زيادة او نقصان النور الوارد الى صفيحة السيلينيوم ص . فلنبيّن الآن كيف تؤثر تلك تغيرات المجرى على الجهاز القابل

الجهاز القابل فيه ايضاً مصباح نرنست نَ يرسل اشعتهُ على عدسيّة عَ تجمعها في المستوقد دَ بعد دخولها من النافذة المستديرة فَ التي في مقدّم صندوق ق مقفل من كل جهة . والمستوقد دَ على سطح اسطوانة زجاجية اَ تشبه تمام الشبه الاسطوانة ا من الباعث وتتحرك مثلها حول المحور م بحركة لولبيّة . ومن الضروري طبعاً ان تحدث هاتان الحركتان بسرعة واحدة وفي وقت واحد بحيث اذا مرّت نقطة معلومة ط من جليدة الباعث بمستوقده د تمرّ حينذاك النقطة طَ القابلة

لها في جليدة القابل بالمستوقد ذ . ومن البديهي ان هذه الجليدة الاخيرة هي التي ستُنقل اليها نقطة فنقطة الصورةُ المرتسمة على جليدة الباعث . ولكن كيف ذلك ؟

قد وُضع بين المدسيَّة ع والنافذة ف غلفانومتر غ وهو مقياس لقوَّة المجرى الواصل اليه من الباعث في النقطة د والمنطلق منه الى الباعث في النقطة ر . وهذا الغلفانومتر يدور حول محوره م دورةً صغيرة او كبيرة بحسب نقصان او زيادة المجرى المارّ به ونهائياً بحسب درجة سواد او بياض النقطة من جليدة الباعث المارَّة بمستوقده ذ .

ثم وفقاً لصغر او كبر دورة الغلفانومتر غ الحائل بين المدسيَّة ع والنافذة ف تزيد او تنقص الاشعة الواردة من تلك المدسيَّة الى المستوقد ذ ان لم يَرِد مجرًى الى الغلفانومتر فوجهته عـامودية بالنسبة الى المدسيَّة ع والذلك قلنا انه بصغر دورته الناشئة طبعاً من ورود مجرى ضعيف تزيد الاشعة الواردة من المدسيَّة الى المستوقد ذ عمَّا تكون عند دورة كبيرة ناجمة عن مجرى شديد

اخيراً بحسب زيادة او نقصان الاشعَّة المجتمعة في المستوقد ذ تتأثر كل نقطة من جليدة القابل المارَّة بذلك المستوقد فتصير ذات درجة من البياض او السواد مساوية تماماً للنقطة المتابلة لها في جليدة الباعث . وعلى هذا النمط تُنقل الصورة بواسطة المجرى الكهربائي من الباعث الى القابل

هذا ملخّص اختراع الاستاذ كُرن وقد بلغ في سنة ١٩٠٧ درجةً من الكمال مكّنت صاحبهُ من نقل صورة ملك انكلترة سابقــاً ادوار السابع من مونيخ الى نورمبرغ ثمّ الى مونيخ ايابـاً في ظرف احدى عشرة دقيقة ونصف لا غير بتاريخ ١٦ كانون الثاني من العام المذكور

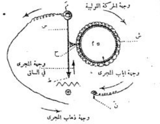
والحالة هذه ما الذي حال دون انتشار طريقة كُرن رغماً عن اقبال بعض المجلات المصوَّرة الشهيرة على هذا الاختراع منذ نشأته ولاسيا على جانبي بوغاز المَنش بين فرنسة وانكلترة ؟ ان اتقان الصورة المرتسمة على جليدة القابل يستوجب في جهاز العلامة الالماني خلوّ دائرة المجرى الكهربائي من ادنى اضطراب طول مدة العمليَّة . والحال ان ذلك قلَّما يتمّ لان الاسلاك التلغرافية والتلفونية كثيراً ما تجتمع وتتوفر بين بلد وآخر فبعضها يؤثر على بعض تـأثيراً مزعجاً في طريقة كُرن . وما عم

الاختبار الطويل ان كشف ذلك العيب الجوهري الذي لم يظهر من اوّل وهلة . وتأثيرُ الاضطرابات السابق ذكرها على جليدة القابل هو ان الصورة تُشان بخطوط سوداء متواصلة او مُنقطة تذهب برونق الاصل

ذلك ما حدا بالحبر الفرنسي بِلان (Belin) الى ابتكار طريقة جديدة سالمة من تلك الشوائب فتوفّق بعونه تعالى الى بلوغ مراده كما سترى

٣ طريقة الفرنسوي بلان

لا يوجد فرق جوهري بين قابل بلان والذي ابتكره كزن انما الفرق عظيم بين الباعثين . وهاك بغاية الايجاز وصف باعث المخترع الفرنسي . يحتوي كجهاز كزن على اسطوانة معدنية ا ذات حركة لولبية قد لُفّت عليها ليس جليدة فوتغرافية كما في الطريقة



(الشكل الثاني) طريقة الفرنسوي بلان

السابقة بل صورة شمسية ش على ورق سميك . ويلزم ان تكون هذه قد أُخذت على طريقة بوتفان (Poitevin) التي لا مجال هنا للإفاضة في شرحها . حسبنا ان نعرف أنّ في هذه الطريقة سُمك الطبقة الحساسة لتأثير النور المطلية للورق البسيط

يزيد او ينقص بحسب درجة بياض او سواد كل نقطة من الجليدة التي أخذت منها الصورة. ولذلك رسمنا الصورة الملفوفة على الاسطوانة بوهادٍ وهضابٍ كبّرناها كثيراً لزيادة الايضاح. ثمّ تجاه الاسطوانة ساقٌ معدنية س يمكنها الدوران حول محورها أ ولها على احد جانبيها المتجه الى الصورة المقصود نقلها حدٌّ ح من الصَّفير اي الياقوت الازرق دقيقٌ للغاية ملامس دائماً لسطح الصورة الشمسية ش بفعل زنبرك. فمتى دارت هذه دورتها اللولبية تجتاز كلُّ نقطها واحدة بعد اخرى على الحدّ الصَّفيري ح فيصبح بمثابة مسبَر يسبُر كل اجزاء الصورة المتفاوتة كثافةً كما اسلفنا. وطرف الساق س المُشار اليه بحرف ط في الشكل ينتقل حين دورتها حول محورها أ على صفّ أنصابٍ شتى ن صوّرناها ببيئة حدّ المنشار بخلاف الحقيقة لتقريب وظيفتها من الاذهان. فكلّ نُصبٍ عُلّق به طرَف ملفٍ ذي طول معلوم اذا مسّه طرف الساق س سبّب في المجرى الكهربائي الساري فيها مقاومةً لهذا المجرى تختلف درجتُها بنسبة طول الملفّ اللاحق للنصب الممسوس. ومقاومات الملفّ تزيد تدريجاً في الصف ن من اليمين الى اليسار. فحين تمرّ وهدةٌ اي نقطةٌ قليلة الكثافة من الصورة ش بالحدّ الصَّفيري ح يميل هذا يسيراً الى اليمين (انظر الشكل) فيُدير الساق الحاملة له الى تلك الوُجهة فيمسّ طرَفُ الساق ط نصباً يُدخل في المجرى الكهربائي مقاومةً يسيرة تنقصه بنسبة درجتها. وحين تمرّ هضبة اي نقطة شديدة الكثافة من الصورة ش بالحد الصفيري يميل هذا الى اليسار وينقل طرف الساق الى نصب ذي مقاومة شديدة تُضعف المجرى كثيراً

٣ المقابلة بين الطريقتين

فاذا قابلنا الآن بين قابل كُرن وقابل بلان رأينا ان الاول يسبر كلّ نقطة جُلَيدة فوتغرافية بمسبر من النور. اعني بمتجمّع اشعّة مصباح نرنست في مستوقد عدسيّة فينفذ هذا المسبر الشعاعي كل نقطة ثم يَصِل سالماً او ناقصاً بحسب درجة بياض النقطة او سوادها الى صفيحة سيلينيوم تزيد او تُنقص المجرى الكهربائي التي هي مندمجة فيها بنسبة درجة سطوع المسبر الشعاعي الواصل اليها. اما مسبر بلان فهو حدٌ صَفيري ينتقل على كل نقطة صورة شمسية على ورق فيميل بوهادها يميناً وبهضابها

يساراً وبتلك الحركات المختلفة التوالية يجمل طرفَ الساق التي تحملهُ وبها يمرّ المجرى الكهربائي مماساً لانصاب ذات مقاومات متفاوتة تُنقص او تزيد المجرى بنسبة درجة كثافة كلّ نقطة يسبرها الحدُّ الصَّفيري

هلمّ بنا الآن نفحص عن ايّة الطريقتين لها قصب السبق على الاخرى. (اوّلاً) انّ باعث بلان أبسطُ بدون قياس من باعث الاستاذ كُرن كما يتضح من مجرّد النظر الى رسميهما. (ثانياً) مدّة ارسال الصورة الفوتغرافية على الطريقة الالمانية كانت نحو ربع ساعة ونظراً لطولها كثيراً ما كانت تحدث فيها الاضطرابات الكهربائية الشائنة لكمال الصورة المرتسمة في قابل كُرن وقد ألفتنا الانظار اليها سابقاً. اما طريقة بلان فقد مكّنتهُ منذ اوائل سنة ١٩٠٩ وهي تقريباً في نشأتها من ارسال صورة حاكم ليون من هذه المدينة الى باريس في ظرف خمس دقائق وعشرين ثانية لا غير. ورغماً من هذا قِصر الوقت العجيب قد وصلت تلك الصورة الى العاصمة بغاية الوضوح في كل اجزائها فيوقن الناظر اليها انها خارجة من معمل احد المصوّرين الشمسيّين. وقد رأيناها اثناء كتابة هذه المقالة ممثّلةً في احدى المجلّات الفرنسوية الشهيرة فأعجبنا بها. (ثالثاً) ان طريقة كُرن لا تنطبق الّا على الجُليدات الفوتغرافيّة. امّا اسلوب بلان فهو مناسبٌ ايضاً بادخال تغيرات جزئية لارسال كلّ مخطوط او رسم بسيط بشرط ان تكون نقطهُ المختلفة متفاوتةً في النتوء او الكثافة وكثيراً ما يتمّ ذلك

فينتج من هذه المقابسة الدقيقة بين ابتكار كُرن واختراع بلان ان لهذا السهم الفائز. امّا فوائد نقل الصور الشمسية بالمجرى الكهربائي وقد أُطلق عليها في اوربة اسم التلافوتغرافية (téléphotographie) فهي واضحة لكل ذي عينين. هي التي مكّنت مجلّات شهيرة مثل الإلستراسيون (L'Illustration) وجرائد يوميّة ذائعة الصيت مثل إكسلسيور (Excelsior) — وكلتاهما صادرة في باريس — من ان تنشرا اسبوعاً فاسبوعاً بل يوماً فيوماً صور الحوادث الهامّة ورجالها المستلفتين انظار كل المجتمع الانساني. فلولا التلافوتغرافيّة لتعذّرت المقارنة بين الواقعات اليومية وصورها التي تكاد تحيها لنظر ملايين من الذين لم يعاينوها فتزداد بذلك معرفة حوادث العمور فائدةً وكمالاً ولا سيّما لذةً فانّ الاختبار اليومي يثبت إقبال الاحداث والكهول على معاينة الصُوَر خصوصاً اذا كان موضوعها ماجريات العالم

٤ امكان الترائي عن بعد

قبل ختام مقالتنا هذه لا نتمالك ان نلقي نظر البحث الى مسألة هامّة بل مُنية بعيدة طالما اشرأبت اليها اعناق العلماء والمخترعين نعني بذلك الترائي عن بُعدٍ ايّةً كانت المسافة الفاصلة بين الشخصين. والحق يقال لم تدنُ تلك الامنيّة السحيقة الى أمل جهابذة العلماء الّا بعد تحقّق التحادث عن بُعد بواسطة التلفون ولا سيّما حين اصبح لاسلكيًا وهو الآن جاري الاستعمال خصوصاً في الولايات المتحدة . لعمري ما اعظم سعادة الامّ السورية التي هاجر ابنُها وفلذةُ كبدها الى نويرك مثلًا لو استطاعت ليس فقط ان تسمع كل نبرات صوتهِ المحبوب بالتلفون اللاسلكي بل ان تمتّع مقلتيها بمشاهدة كل تقاطيع محيّاه المرتسم بخطوط ناريّة في اعماق فؤادها الوالدي الشديد التألم من مضض النوى

فتلك السعادة الغريبة التي كانت بنظرة هذا الجيل يعدّها العلماء مستحيلةً اضحت اليوم بفضل التلافوتغرافيّة من الممكنات بل ممّا يُحتمل تحقيقهُ في عصرنا هذا مُولد العجائب باختراعات لا تُحصى كالطيران والمواصلات اللاسلكية . وهاك دليلين لتوطيد مدّعانا . (الاول) ان من الامور الجارية اليوم ارسال الصور الفوتغرافية في خمس دقائق بل اقلّ الى مسافة تزيد عن الف كيلو متر . (والثاني) انهُ لا يوجد نظريًا ادنى مانع يحول دون بعثها من اقصى العالم الى اقصاه وان تكاثرت العوائق العمليّة في قطع المسافات البعيدة جوًّا ولا سيّما ان لزم عبور بحرٍ محيط واسع كالاطلنتيك . وهل من عجبٍ في ذلك ؟ أليس امرًا ثابتاً بالتاريخ وبالاختبار اليومي ان المواصلات البحرية بوجه الإجمال اصعب بدون قياس من المواصلات البرّية . هذا التلغراف الكهربائي يرقى اختراعهُ على يد فرنسوي الى سنة ١٧٧٦ ومع ذلك فانّ اول برقيّة جازت الاطلنتيك اتت من جزيرة الارض الجديدة الى اوربّة بتاريخ ١٢ آب سنة ١٨٥٨ اعني ٨٤ سنة بعد اختراعه المذكور . والحالة هذه لا يُستبعد امكان المواصلات التلافوتغرافيّة بين اوربة واميركة بل بين هذه والشرق الادنى في الجيل العشرين . فاذا تمّ ذلك استطاعت الوالدة السورية التي ضربناها مثلًا فيما سبق ان ترى في بيروت او دمشق او حلب صورة ابنها القاطن في نويُرك بضع دقائق بعد إرسالها من هناك . تلك سعادة عظمى

فانّ الوالدة ترى على هذا المنوال القريب ولدها كما هو حالاً ليس كما كان من مدة اسبوعين او اكثر

ولكن اين ذلك من فرح التراني الحقيقي الذي يرى فيه القريب قريبهُ والحبيب حبيبهُ ليس بحالة الجمود والصمت بل يسمع كل رنّات صوته الشائق ويرنو الى كل ما تنطق به تقييرات محيّاه من عواطف الوداد والأُنس. فهل كل ذلك ايضاً دخل الآن بفضل التلافوتغرافية في حيّز الإمكان؟ أُجيب أجل ثم اجل ولست اخشى تكذيب مكذّب. (اولاً) ان المحادثة بل المحادثة اللاسلكية بين اوربة واميركة تحققت منذ ٥ سنوات بانيّف فانها جرت اول مرة بين برج إيفل في باريس وبين واشنطن في تشرين الاول سنة ١٩١٥ . (ثانياً) ان التراني لا يختلف جوهرياً عن ارسال صورة فوتغرافية بل يقتضي فقط بعث «فِلم» (film) سينماتغرافي اعني شريطاً طويلاً من جُليدات فوتغرافية تُمثّل كل حركات وسكنات الشخص المُصوَّر. ثم يلزم لإمكان التراني ان تَرِد تلك صورُ الفِلم من نويرك الى بيروت مثلاً بحساب عشرة على الاقل في الثانية. فان تمّ ذلك وتتابعت تلك الصور مُنارةً بنور شديد ومُكبّرةً على حاجز قماشي كما في ردهات السينماتغراف فلا ينقص التراني شيء

ومن معترضٍ يقاطعنا بقوله: كيف يُحتمل امكان بعث عشر صور على الاقل في الثانية حال كون ارسال صورة واحدة بالتلافوتغرافية يستغرق على طريقة بلان المكمّلة نحو خمس دقائق؟ ذاك الاعتراض معقول وهذا جوابي عليه. الوقت المشار اليه ضروري لبعث صورة ذات كبر اعتيادي امّا صور الفِلم السينماتغرافي الكافية لحلّ مُشكل التراني عن بُعد فلا مانع من ان تكون عشر مرّات اصغر من الصور المعتادة بل عشرين مرّة بشرط ان تؤخذ بواسطة جهاز فوتغرافي بغاية الكمال. فاذا اعتمدنا على درجة الصغر الاخيرة قد يمكن حاضراً ارسال صورة فِلميّة صغيرة هكذا في جزء من عشرين من خمس دقائق اعني في ١٥ ثانية. فيترتّب على ذلك ان مكان التراني التلافوتغرافي المقتضي بعث عشر صور على الاقلّ في الثانية متوقف حاضراً على زيادة سرعة الارسال مائة وخمسين ضعفاً فمَن يتجاسر ويستطيع دون الحياد عن جادة الصواب ان يؤكد استحالة بلوغ تلك السرعة وإن لم يختلف اثنان في صعوبتها

وهاك ايضاً شهادة احد نوابغ فرنسة تأييداً لحجتنا:

ان العالم الفرنسوي جورج كلود (Claude) المشهور باختراعه طريقةً مكتملة لاصطناع الهواء المائع قد نشر سنة ١٩٠٥ مؤلفًا حسنًا على الكهرباء خصّص فيه فصلًا كاملًا لإرسال الصور الشمسيَّة بواسطة المجرى الكهربائي . ومن عجيب امره انهُ تنبأ فيه ستين على الاقلّ قبل اختراع الاستاذ كُرن لاوّل جهاز تلافوتغرافي بإمكان ذلك النوع الغريب من المواصلات . بل سبقت قريحتهُ الوقادة فوصفت بدقّة عجيبة ما يقتضيه ذلك من الادوات والعمليّات المختلفة في الباعث والقابل وأشار في وصف الاول الى فائدة استخدام معدن السيلينيوم الذي استعمله فعلًا المخترع الالماني . ثم ان جورج كلود في نفس الكتاب المنوّه به يصرّح بان التراني التلافوتغرافي المقتضي بعث عشر صور على الاقل في الثانية يمكن على الارجح تحقيقهُ رغمًا عن الصعوبات المظيمة الحائلة دون ذلك . ولا شك عند من يعرف قيمة هذا العالم والمخترع المشهور ان قوله الاخير جدير بالتصديق ولا سيّما ان قولهُ الاول النبوي قد تمّ حرفيًا بكل تفاصيلهِ الدقيقة عامين ليس الّا بعد ان فاه به . وكفى بذلك دليلًا باهرًا على سمو عقله وبُعد نظره

زد على ذلك ان كلّ ما سبق من بحثنا وحدسنا لم يخرج عن دائرة التلافوتغرافية السلكيّة وهي ضيّقة النطاق . فكم يتّسع امامنا مجال الامل في دنوّ تحقق التراني عن بُعد ان اصبح لاسلكيًا . وهنا ايضًا مَن مِن جهابذة العلم انفسهم يقدر ان يُصرّح بامتناع ذلك الترقي . لو كنتَ استفتيتهم في غرّة هذا الجيل عن امكان التحادث التلفوني اللاسلكي . أما كان كثيرٌ منهم ان لم نقل السواد الاعظم صرّحوا لك بانّ تلك الامنيّة هي اشبه شيء ببيضة الديك ? وهل تجهل ان طائفة من ائمّة الرياضيّين الغائصين في بحر النظريّات المستخفّين بالعمليّات والمتعامين عنها جاهروا غير مرّة بناء على حساباتهم الدقيقة العميقة باستحالة فنّ الطيران اي انطياد الانسان في مركبة اثقل من الهواء . ايّة كانت الوسائل المستخدمة لبلوغ هذه الغاية ? فها عشت الحوادث التي لا يستطيع انكارها مكابر ان كذّبت هؤلاء المدّعين بمعرفة ما تعجز القوى الطبيعيّة عن ادراكه من افانين الاختراعات العجيبة . ويا ليت اولئك الانبياء الكذبة يرتشدون بتلك العبرة المبطلة لدعواهم !

. واخيرًا ربما سألنا سائل بعد إمعانهِ النظر في وصفنا الآنف لجهازي كُرن وبلان

بدقتها وتركيبها للعقد الذي ليس فيه ادنى ادعاء باطلة وكيف يُحتمل إمكان الاستغناء عن كل تلك الاجهزة الكثيرة الاجزاء والوظائف لمجرّد استخدام اللاسلكي اي التموّجات الكهربائية الاثيرية ? فجوابنا على هذا السؤال الحصيف ان التلافوتغرافية اللاسلكية تنفي ضرورة سلك المواصلة ولكنها لا تطرح جانباً بقيّة الاجهزة كما ان التلغراف والتلفون اللاسلكيين لا يقومان بدون باعث وقابل يفوقان كثيراً بتعقيدهما اجهزة المواصلات السلكية. فمن يجهل مثلاً ضرورة تشييد صوارٍ عالية جدّاً للتمكّن من الملاقات اللاسلكية ?

والحالة هذه يكفي لتحقّق التلافوتغرافية الاثيريّة ايجاد مسيّر يسير كل اجزاء الصورة المقصود إرسالها فيُحدث في حين مماسّته لكلّ نقطة تموّجات كهربائية تناسب درجةً شدّتها درجة بياض او سواد النقطة الممسوسة. وبعبارة اخرى ما احدثهُ سيلرا كرن وبلان من التغييرات في المجرى الكهربائي الناقل للصورة لا نرى وجه امتناع إحداثه في التموجات الاثيرية. ولنا شاهدان جليّان على امكان الاستغناء بهذه عن ذاك في التلغراف والتلفون اللاسلكيّين

فينتج من الايضاحات السابقة التي استوجبت بعض الافاضة في الشرح ان التحادث اللاسلكي امرٌ متحقّق منذ نحو خمسة اعوام وان التراني بحصر المعنى اي بدون تحادث لكن برأي كل شخص لحركات الآخر وسكناته أمرٌ لا يقتضي إيجاده سوى زيادة سرعة الارسال الحاضرة نحو مائة وخمسين ضعفاً بل يُحتمل تحققه بالطريقة اللاسلكية. فاذا يبدو الآن تحقق التراني والتحادث معاً وهما ضروريّان لكمال المراقبة ? لعمري اذا سلّمنا بامكان كلٍّ من الامرين بمفرده فلا مندوحة لنا من الاقرار بامكانهما مجتمعين. ولنا ايضاً شاهد على ذلك في السيناتغراف المتكلم الذي وان لم يكن جاري الاستعمال بسبب وعورة مسلكه وكثرة نفقاته فقد دخل في حيّز الوجود منذ ١٥ سنة على الاقلّ وقد حضرنا احد مشاهده حول سنة ١٩٠٦ في ثغر الاسكندرية

فيسوغ لنا في آخر هذا البحث الطويل الشائق ان نُسرّ بكوننا استدرجنا القارئ اللبيب فبيّنا لهُ إمكان الجمع بين التراني والتحادث عن بُعد حتى بين اميركة والشرق الادنى بل على الاسلوب اللاسلكي. ويلوح لنا انّنا لم نَعْدُ شعرة

عن المبادئ العلمية الراهنة في كل الادلة التي اوردناها تأييد ذلك الإمكان الذي سيضحي ان تحقّق يوماً ما اعجوبة العجائب الناتجة من قوّة العقل البشري الناطقة الفائقة عن قوى العالم المادّي قدرةً اذا تأسّست على الحقّ اعني قدرة الحقّ الالهي ... النبي من فرط ضعف جسمه والقوى الكونية الهائلة التي اذلّها مرغومة الانف لسلطانه السامي. وأيم الحق ما اعظم قدرة الله جلّ جلاله حيث استطاع بمجرّد مشيئته ان يُنعش حفنة الطين التي جُبل منها جثمان جدّ البشر بروح صاغها على مثال ذاته سبحانه وتعالى فسلّطها بواسطة العقل على العالم الهيولي وقدّرها على فتح كل ممالكه حتى الاشدّ خفاء ومناعة

ولا نتمالك ان نزيد على ملحوظنا السابق اعتباراً فلسفياً آخر جليل الفائدة وهو هذا : ان كان من المؤكد الذي لا يحوم عليه ادنى ريب ان امراء العلم انفسهم جاهلون — واي جهل ! — لحدود القوى الطبيعية عاجزون في كثير من الاحوال عجزاً مطلقاً عن التصريح اليقيني بما هو في دائرة الإمكان وما هو خارج عنها فما اعظم قحة الزنديق في رذله كل الكائنات والحقائق اللامادية الفائقة لحواسه بحجة تعذّر إحاطته بغامض اسرارها، بل ما اشدّ جنون المؤمن بوجود الله وروحانية النفس وخلودها بنعيم الآخرة او جحيمها ان يكتفي بقبول تلك الحقائق التي يدركها عقله وينبذ نبذ النواة الحقائق الفائقة الادراك التي تنازل رب العباد واوحى بها الينا على لسان انبيائه الكرام ولا سيّما ابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح له المجد والجلال والملك الى دهر الداهرين !

التعليم الاجباري

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

كنّا انتقدنا في بعض اعداد سنتَي المشرق الحادية عشرة والثانية عشرة (١٩٠٨ و ١٩٠٩) ألفاظاً سحريّة شاعت في زماننا على ألسنة الناس ولا تزال ترمّم بها الجرائد وتُطبل كأنّ سعادة البشر تتوقف عليها وهي اشبه بالسراب ينخدع به التائه في

الصحاري فلا يلبث ان يقف على ضلاله فيزيد اسفهُ . فمن ذلك الحريّة والمساواة والاخاء والتساهل والتمدُّن نسمع بها ولا يكاد يرينا النادون بها غير قشرتها

وفي باب التعليم والمدارس مفرداتٌ يردّدها المتشدّقون ويبنون عليها كل الاماني الطيّبة وينتظرون منها حلّ كلّ مشاكل المجتمع الانساني . فهذا يطريّ المدارس العلمانية وقد فنّدنا سابقاً اوهام القائلين بها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٦٢٠ و ٦٩٠) وذاك يطلب المدارس الوطنيّة كأنّ المتخرّجين في مدارس الاجانب لم يكونوا عادةً في مقدّمة الساعين في ترقية الوطن ومنهم فقهنا معنى الوطنيّة فمات بعضهم شهداء حبّهم للوطن (راجع مقالة شهيدي لبنان وكلاهما تخرّج في مدارس الاجانب) ومعظم الذين يعوّل عليهم اليوم في نهضة الوطن رضعوا افاويق العلوم في مدارس الاجانب . ويطنطن غيرهم بالمدارس المجانيّة كانهم لم يُسبَقوا اليها منذ ثمانين سنةً . فالرهبانيات الاوربيّة التي خدمت بلادنا بالتهذيب والعلوم قبل الحرب الكونيّة انشأت مئات من هذه المدارس للذكور والإناث . فان كانت الآداب انتشرت في هذه البلاد السوريّة فلهم يعود معظم الفضل وكانوا يجمعون النفقات من اهل الكرم في فرنسة لفتح هذه المدارس المجانيّة . امّا الدُّول فاذا انشأتها لا تصرف عليها من مالها الخاص بل من الضرائب التي تتقاضاها على الشعب . فتلك اذن كلُّها اسماء بلا اجسام . يكفي العاقل ان يعتبرها مليّاً ليكتشف ما وراءها من البهرجة والترويق الباطل

ومن التمويهات التي عمدت اليها بعض الجرائد في هذه المدّة الاخيرة « التعليم الاجباري » فنسبت اليه تمدُّن الدول الاوربيّة ورقيّها كما نسبت تأخّر بلادنا لخلوّها منها فأحببنا مجاراتها في هذا الميدان لنرى ما في قولها من الصلاحيّة فنؤيّدهُ او عدمها فنفندهُ

لمحة في تاريخ التعليم الاجباري

انَّ من اطّلع على تواريخ الامم الراقية التي يُنسب اليها بلوغ اوج التمدُّن بين قدماء الشعوب كالمصريين والبابليين واليونان والرومان حيث كانت الحضارة نامية والآداب معزَّزة لا يجد فيها أثرًا لما يُدعى بالتعليم الالزاميّ او الاجباري وغاية ما كان يُعنى بهِ ارباب الدول انهم كانوا يجلّون الآداب والأدباء ويمنحون الامتيازات لمن برّز في العلم واذا انشأوا المدارس العموميّة رغّبوا الاهلين والاحداث في تربيتها

وتهذيبها واناطوا الى المتخرّجين فيها المناصب الشريفة وقلّدوهم الرُّتب المنيفة

وما قولنا الآن بالشعوب المسيحيَّة فانَّ الكنيسة ما كانت تبسط سلطانها على احد الاقطار حتَّى تُسرع الى نشر الديانة والعلوم معاً . فان كانت تشيّد بيعةً كانت تضيف اليها مدرسة للاحداث . ومثلها الرهبانيَّات التي نشأت في حجر الكنيسة فانَّ كلّ دير من اديار الرهبان كان في الغالب يشتمل على دارٍ للعلوم يتقاطر اليهِ اولاد الاغنياء والفقراء معاً بكل ارتياح دون إجبار ولا كراهية . ولو اردنا سرد تاريخ تلك المدارس في كلّ بلدٍ من بلدان الشرق والغرب معاً لَما حصرتهُ المجلّدات الضخمة . كفى بذكر مدارس الاسكندريَّة وانطاكية والرها ونصيبين وبيروت في الشرق ثم مدارس رومية وميلانو وجبل كاسين وليون وباريس واكس لاشابل وتريف ومئات غيرها في الغرب . وقد تخصَّصت عدَّة رهبانيَّات لتعليم الناشئة نخصّ منها بالذكر رهبانيَّة القديس مبارك بكل فروعها ثم الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ جماعة اخوة المدارس المسيحيَّة

وكانت الكنيسة اذا عقدت مجمعاً عموميّاً او خصوصيّاً لا يبرح من فكر المندوبين اليهِ الوصاة بانشاء المدارس للاحداث وحسن تربية الشبيبة . حتَّى اقرَّ اعداء الكنيسة نفسهم أنَّها نالت السبق في تعميم العلوم . قال الوزير غيزو وهو بروتستاني النحلة في مجلس النواب في فرنسة في ١٦ آذار سنة ١٨٥٠ : «انَّ فرنسة لكثرة ما كان فيها من المدارس قبل سنة ١٧٨٦ بفضل الرهبانيَّات العديدة والمنشآت الدينيَّة وغيرها احابت قصبة السبق على كلّ الدول . لكنَّها الآن (اي السنة ١٨٥٠) قد انحطَّت عن مقامها حتى صارت في مؤخر كلّ الدول »

ولمَّا كان اكبر اسباب ذاك التأخر منافاة المدارس الدينيَّة وسعي الجمهوريَّة الاولى باحتكار التعليم ووضع المدارس في عهدة الحكومة وحدها

ثمَّ أُعيدت الحرّيَّة سنة ١٨٥٠ للكنيسة وارباها ولرؤساء الرهبانيَّات لفتح المدارس الدينيَّة فعاد معها إقبال العموم على المدارس الابتدائيَّة والثانويَّة خصوصاً حتَّى انَّ وزير المعارف فكتور دوروي في عهد نابليون الثالث تخوَّف من نموّها العظيم فقال سنة ١٨٦٣ «اذا بقيت المدارس المنشأة من الرهبان على ترقّيها سيأتي زمنٌ قريب لن يبقى في فرنسة مدرسة علمانيَّة واحدة »

والحقُّ يقال انَّ هذا النموّ المتواصل قلّل عدد الامّيين في فرنسة حتَّى سقط الى

قريب من عشرة في المئة قبل سنة ١٨٨٢ باقرار ارباب الحكومة نفسها كما ترى

ففي هذه السنة سعى وزير المعارف جول فري بوضع سُنَّة التعليم الاجباري ولم يزل ينادي بها ويحرّض على تصديقها ويموّه في بيان منافعها لتعميم العلوم حتى فاز بغايته وأُدرجت شريعة التعليم الالزامي في دستور الدولة

وهذه سُنَّة الاجبار دخلت ايضاً في بلاد غير فرنسة كالولايات المتّحدة وانكلترة لكنّها لقيتها كثيراً بنتيجها الحرّيّة التامّة لمناصرها وارباب اديانها بأن يفتحوا المدارس الحرّة ويهذبوا الشبيبة كما يشاؤون على حسب روح دينهم واساليبهم التعليميّة فمنعت الشريعة على هذه الصورة كثيراً من اضرارها . لأنّ نفي العلم الديني يقلّ ثمّة الاهلين بالمدارس الاجباريّة . واذا كانوا فقراء لا طاقة لهم بوضع اولادهم في المدارس الدينيّة الحرّة يفضّلون البقاء على جهلهم من ارسالهم الى المدارس اللادينيّة

امّا فرنسة فزادت شريعتها حراجة بوضع سُنَّة أُخرى سنة ١٨٨٦ اذ حرمت التعليم على الرهبانيّات غير المأذونة . ثمّ اختمتها بشريعة ثالثة في منع التعليم على الرهبانيّات المأذونة ايضاً سنة ١٩٠١ فأقفلت الوفاً من المدارس الدينيّة ليخلو الجوّ لمدارس الحكومة وحدها اي العلمانيّة اللادينيّة او قُل بالحري الماكسة للدين وهي الداهية الدهياء . واذا سُمح للكاثوليك انشاء مدارس دينيّة على نفقتهم بديرها غير الرهبان دون ان يستفيدوا شيئاً من الضرائب العموميّة كأنّ الاهلين لا يمكنهم انتشاراً من فائدتها الّا بتخريج اولادهم في مدارس الحكومة مع كونهم شاطروا الفرنسويين كلهم في دفع تلك الضرائب

الدواعي الى التعليم الاجباري

لا شكّ انّ القارئ وجد بين سُنَّة التعليم الاجباري ومطاردة الرهبانيّات المرصدة للتعليم تناقضاً ظاهراً . فيتساءل كيف التوفيق بينهما وما الداعي الى حصر التعليم في ايدي الدولة بوضع النواميس لإلغاء المدارس الدينيّة

لذلك سببان : الواحد اخلاقيّ تمويهيّ كاذب نودي به لمخادعة العموم وكمّ أفواه المحتجّين . وهو انّ التعليم الاجباري لا بُدّ منهُ لتعميم العلم بين كلّ أحداث البلاد . وقد ثبت بالامتحان الذي اشرنا اليهِ انّ انتشار العلم يزيد على قدر ما تُمنح الحرّيّة

لكل عناصر الدولة ولاسيّا ارباب الدين والرهبان وكما سترى قريبًا في بيان نتائج التعلم الالزامي

والسبب الثاني وهو الحقيقي لم يُعلَن به جهارًا وانَّما صرَّحت به الجمعيات السرّية وهو قتل الدين في المدارس وتخريج الشبيبة على المبادئ الاباحية الكفرية لتكون المدارس العلمانية الرسمية هي الكل في الكل فيخلو الجوّ لاعداء الدين ليسطوا على عقول الصغار ويبذروا في قلوبهم بذور الكفر والفساد

وليس قولنا هذا وهمًا فرنًا بلا سند فانَّ الفرمسون صرَّحوا بنيَّتهم غير مرَّة بحيث لا يبقى في الامر ادنى ريب. وقد اثبتنا في كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» (٣ : ٣٣) فصلًا واسعًا اوردنا فيه اقوالهم في مجتمعاتهم السرّية متنقولة عن النشرات الرسمية التي وقفنا عليها. وقد كانت المحافل الماسونية سبقت وسنّتها في «هياكلها» قال الاخ.•. لوبلتيه (Lepelletier) سنة ١٨٨١ لما أُسّس مجلس العموم التعليم المجاني العلماني الاجباري: «انَّ الشريعة التي اشترعها آنفًا مجلس العموم انما هي الشريعة التي سنَّاها وقرَّرناها في محافلنا منذ سنين عديدة مجرفها الواحد فحصلنا اخيرًا على مرغوبنا». وكان المسيو پول برت (Paul Bert) كاتب لجنة التعليم الاجباري ادَّعى زورًا بدفاعه عن شريعة التعليم «العلماني الاجباري» انَّ اصحاب الدين ليسوا اهلًا لتربية الاولاد واعدادهم للعيشة العائلية والمجتمع البشري وذلك لاعتبارهم الزيجة ادنى شأنًا من العزوبة». لكنَّ الاخ.•. فرُوليا (Ferrouillat) المدافع عن الشريعة ذاتها في مجلس الشيوخ كان اصدق لهجة بقوله «انَّ السبب الحقيقي لطالبتنا بهذه الشريعة انَّ إله اللوائح المدرسية هو غير إله الجمعيات الرهبانية. هنا هو إله الفلسفة إله الديانة الطبيعية ليس إله الوحي»

وكان في جملة مقاصد المؤتمر الماسوني المنعقد في ليون سنة ١٩٠٥ البند الآتي: «يجب الغاء كلّ تعليم ايًّا كان ابتدائيًّا او ثانويًّا غير التعليم العلماني ولذلك لا بُدَّ من نزع التعليم من كلّ الجمعيات الدينيَّة»

فالتعليم الاجباري اذن احد الاسلحة الماسونية لا يُراد به الَّا محاربة الدين واربابه لتنزع منهم أقدس حقوقهم التي خوَّلهم ايَّاها الدين وثقة الشعوب وتقاليد الامم المتواصلة

نتائج التعليم الاجباري

انَّ الذين يطلبون وضع سنَّة التعليم الاجباري. يستندون عادةً الى فرنسة التي يعتبرون شرائعها مثال العدل والحكمة ويا ليتنا كنَّا نستطيع ان نوافقهم في حكمهم بخصوص التعليم الاجباريّ . ولئلَّا ينسبنا احد الى الغرض الشخصيّ نورد هنا شواهد من ارباب الحكومة الفرنسويَّة نفسها وهم يقرُّون بعدم صلاح سنَّة التعليم الاجباريّ وأضراره ونؤيد قولنا بالتقاويم الرسميَّة التي اصدرتها الحكومة

ولإثبات الامر لا بُدَّ من المقابلة بين ما قرَّرتهُ الحكومة عن شيوع التعليم في فرنسة قبل وضع شريعة التعليم الاجباريّ في ٢٨ آذار سنة ١٨٨٢ وبعدها . ولنا على ذلك شاهد صادق في قرار المسيو پول برت المعروف بمعاداته للدين الذي قدَّمهُ لمجلس الشيوخ ليلتمس بهِ شريعة التعليم الالزامي قال : « انَّ في فرنسة حاضرًا (١٨٨١–١٨٨٢) عُشر الاولاد البالغين هم اميون يجهلون القراءة والكتابة » . اما مسيو بريان رئيس المجلس الحالي فادَّعى انَّ عدد الاميين كان وقتئذٍ ١٤ بالمئة . لعمري وان سلَّمنا بتقويم المسيو بريان نرى كلا العددين قليلًا وما ذلك الَّا بفضل المدارس الدينيَّة التي كانت الجمعيَّات الرهبانيَّة العديدة من كهنة ولاسيَّما اخوة المدارس المسيحيَّة وغيرهم انشأوها في كلّ مكان فكان الاولاد يقبلون اليها بكل ارتياح من تلقاء نفسهم دون اكراه ولا إجبار

فما مرَّ على شريعة التعليم الاجباري ١٨ سنة بعد ان أُقفلت الوفٌ من المدارس الدينيَّة التي كان يديرها الرهبان واضطرَّ الكاثوليك ان يفتحوا على نفقتهم مدارس حرَّة غيرها حتَّى زاد عدد الاميّين فبلغ قريباً من ٢٥ بالمئة اي ضعف عددهم قبل شريعة التعليم الالزاميّ . وذلك باقرار المسيو بريان عينهِ سنة ١٩٠٠ . ومن ذاك الحين نرى هذا العدد يزيد كلَّ سنة لنفور الاهلين من المدارس الالزاميَّة مع ازدياد عدد التلاميذ في المدارس الكاثوليكيَّة

ولدينا قوائم نقص التلاميذ في مدارس الحكومة للسنة ١٩٠٣ وما بعدها فنرى كلَّ سنة عددهم يقلّ في كلّ مقاطعة من مقاطعات فرنسة حتَّى نادى الراديكاليون

ذاتهم بالويل والثبور . ولمَّا أُعلن بالحرب الكونيَّة الاخيرة اخذ رؤساء الجيش العجب العجاب من عدد الأميين في فرنسة

ولا يظننَّ احد ان الحكومة ضنَّت بالمها واقتصدت من مصروفها على مدارسها . فالامر على خلاف ذلك فانَّ ميزانيَّة التعليم - كانت في السنة ١٨٨٠ سبعة عشر مليوناً من الفرنكات . فبلغت بعد عشر سنين مئة مليون ثمَّ زاد هذا العدد عشرة اضعاف حتى بلغ ملياراً !!! قبل الحرب وفي السنة ١٩١٤ قدَّم المسيو كالون (Mr Callon) للحكومة قائمة لمدارس ٢٣ عمالة من ولايات فرنسة فكان معدل عدد التلاميذ الذين يحضرون مدارس الحكومة يبلغ خمسة بالمئة بينما يبلغ في المدارس الدينيَّة الحرَّة الكاثوليك ٩٥ بالمئة . وذكر ١٥٠ مدرسة لا يحضرها البتَّة احدٌ من التلاميذ

وها قد انتهت الحرب الكونيَّة منذ نحو ثلث سنوات فماذا حلَّ بالتعليم الاجباري ؟

قد صار في حالة يُرثى لها : اوَّلاً لقلَّة المعلمين رغماً عن زيادة رواتبهم ثلاثة اضعاف فيدفعون للمعلم في اوَّل سنة تعليمه ٣٦٠٠ فرنك وكان راتبهُ لا يتجاوز الى سنة ١٩١٩ : ١٢٠٠ فرنك ويزاد هذا الراتب بعد حين حتى يبلغ ٦٥٠٠ فرنك . ومع كلّ هذا ترى عدد المعلمين ينتقص كلَّ سنة بضعة مئات

ثانياً لنفور الاولاد عن المدارس الرسميَّة وعدم ثقة الاهلين بحسن تعليمها وتربيتها وميلهم الى المدارس الكاثوليكيَّة الحرَّة . مثال ذلك عمالة مين ولوار فانَّ تلاميذ الحكومة اخذوا يهجرون مدارسها منذ سنة ١٩١٣ فكانوا اوَّلاً ثلثة فبلغوا سنة ١٩١٤ ٢٧٠ ثمَّ ١٣٥٠ سنة ١٩١٦ حتى بلغوا ٣٢٢٨ سنة ١٩١٨

وها نحن نختم بتقرير المسيو هيريو (Ed. Herriot) الوزير السابق واستاذ الآداب في جامعة ليون من مندوبي مجلس الشيوخ ورئيس حزب الراديكال . عيَّنته الحكومة كرئيس لجنة ميزانيَّة التعليم في هذه السنة الحاليَّة فقال في خطابه الوارد في الجريدة الرسميَّة :

« انَّهُ لمن الامور المقلقة ان نرى عدد الاميين في فرنسة رغماً عن مدَّعياتنا الشرعيَّة بالتمدُّن والحضارة الراقية . ولو سمع المسيو فردينان بويسون لصرَّح امامكم

بجدارةٍ لم أبلغها انا فيقول لكم انّهُ ليست بلاد فيها مواظبة التلامذة على المدارس في اسوإ حال من بلادنا » (١

ثمّ عَرَض على النّدوبين ميزانيّة التعليم للسنة ١٩٢١ فاذا هي بالغة ١٫٣٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ اي مليارًا و٣٤٠ مليونًا من الفرنكات

فهذه الارقام ابلغ ما يمكننا ايرادهُ في ختام هذه المقالة لإفحام الذاهبين الى المطالبة بالتعليم المجاني والاجباري

التعليم الاجباري امر مستحيل

لعلّ القارئ يستغرب قولنا هذا . وهو مع ذلك يطابق الواقع بالتمام ويُستنتج من الكلام السابق

وذلك (اوّلاً) لأنّ الانسان من طبعهِ لا يُحِبّ ان يُكرَه على الامور التي يرشدهُ اليها صالحهُ . فانّ عقلهُ يدعوهُ اليها اذا وجد فيها منفعةً او حبّبتها اليه الحكومة اذا تناضى عنها ببيان فوائدها المادّيّة والادبيّة . والتعليم من هذا القبيل فان استعملت السلطة التهديد والعقاب مع الاهلين نفرت منها ومنهُ القلوب وربّما حملتهم على مخالفتها في حين كانوا مستعدّين للقيام بواجباتهم دون مداخلتها الجبريّة فيسيئون الظنّ بها وينسبون فعلها الى بعض اغراضها

(ثانيًا) انّ التعليم الاجباري اذا سنّتهُ الحكومة تتجاوز حقوقها . فايُّ حقٍ رعاك الله تدّعيه لوضع سنّةٍ كهذه ? فلا شكّ انك تقول انّ للحكومة حقًّا أن تعدّ للوطن رجالًا يقومون في مساعدتها لتدبير المجتمع الانساني الذي هو موكول اليها . نجيب انّنا لا ننكر ذلك ولكن أتدرك رغبتها بالجبر والاكراه ? او ليس الاحرى بها ان تشوّق القلوب اليهِ وتسهّلهُ على الناس وتضع لذلك المجازيات والامتيازات المرغّبة فيهِ وتساعد الجمعيّات القائمة بهِ ?

(١ هذا قولهُ بالحرف « Il est bien inquiétant de constater que la France, malgré toutes ses légitimes prétentions à la civilisation et à la haute culture, soit encore le pays comptant le plus d'illetrés!...M. Ferdinand Buisson vous le dirait avec une autorité qui me manque : la fréquentation scolaire n'est nulle part plus mauvaise que dans notre pays » (*Journal Officiel*, 19 *Févr.*, 1921, *p.* 821. *Rapport de Mr Ed. Herriot*)

وعلى مثل هذا تسير في امور كثيرة يعود نفعها الى الوطن وهي لا تجبر عليها مطلقاً وانما تسعى في استمالة القلوب اليها . أليس مثلاً نمو المواليد بالزواج خيراً عظيماً للوطن فهل فكّرت الحكومة في جعل الزواج اجبارياً ؟ لا لعمري

ثمَّ انَّ التعليم الاجباريّ لا يُمكن تنفيذهُ الا بمعاقبة مَن خالفهُ . فقُلْ لي ناشدتك الله كيف تستطيع الدولة ان تعاقب بالحبس او بالغرامة المالية والدَين يحتاجان الى مساعدة اولادهما لكسب معاش عائلتهما إمَّا برعاية المواشي او بصناعةٍ ما . وهذا ما اجابهُ آخرًا بحسن نظره وسلامة ذوقهِ في جلسة اللجنة الاداريَّة المعقودة في ١٠ أيار المسيو بتي مندوب الحكومة على قول احد اعضاء اللجنة حسن بك بيهم اذ «طلب التشبث بجعل التعليم الابتدائي الزامياً تدريجاً» قال المسيو بتي : «انَّ الحكومة لا تستطيع جعل التعليم اجبارياً . . . وان عدنا الى المبدأ فنصرح انهُ رغماً عن ميل الحكومة الى تعميم التعليم الابتدائي فالالزام بهِ بموجب قانون يقتضي فَرْض عقوبات على مخالفيهِ ذلك ليس من الحكمة لا بل ينفّر القوم من العلم . فهل تُحبَس الامّ التي تهمل ارسال ولدها الى المدرسة ؟ او يُغرَّم الاب الذي لا غنى لهُ عن ولدهِ لصالحهِ اذا لم يرسل ولدهُ الى المدرسة ؟ » فلله درُّهُ من قول رجل حكيم !

(ثالثاً) وان أتت الحكومة عملاً كهذا فسنَّت التعليم الالزاميّ فتحت امامها باباً واسعاً من المشاكل والمنازعات والتظلُّم والدواعي لا تستطيع سدَّهُ وتعجز عن اقفالهِ . فكم من الاولاد لأسباب عديدة لا يمكنهم حضور المدارس . فهذا فقير وذاك يتيم وغيرهُ ضعيف والآخر في مكان بعيد عن المدارس و . و . و . . . أ فتقيم الحكومة في كلّ مكان فِرَقاً من الشُّرَط ليتجولوا ويعاينوا البيوت ويسحبوا الى السجون المخالفين ؟ او تريد الحكومة على ميزانيَّتها القناطير المقنطرة لتقوم بمعاش كلّ هؤلاء وتفتح لهم المآوي ؟

(رابعاً) ثمَّ التعليم الالزاميّ يستوجب من النفقات ما تنوء دونهُ عواتق الوطن ولا يقوم بهِ مال قارون . فانَّ التعليم ليأتي بثمرتهِ لا بُدَّ لهُ من معلّمين قديرين تعلّموا مدَّة عدَّة سنين فنّ التعليم . ثمَّ يجب توفيرهم الى عشرة اضعاف ما هم عليهِ اليوم وزيادة رواتبهم وتموينهم بالكتب المدرسيَّة المجانيَّة . وهذا كلّه يستدعي المصاريف الطائلة . وما قولنا عن بناء المدارس واستئجارها وهنا الطامَّة العظمى . ثمَّ كم وكم من

القرى التي لا يمكنها ان تجمع عشرين تلميذاً بل عشرةً منهم اقتُشيِّد لهم مدارس ايضاً ؟ . أفكَّرت الجرائد لمّا طلبت التعليم الالزامي بكل هذه الامور ؟ او اعتبرها جناب حسن بك بيهم لمّا عرض على المجلس الاداري التعليم الالزامي ؟أو ليس يصحُّ بعد هذا قولنا انَّ التعليم الاجباري امر مستحيل ؟

لكنَّنا نعرف واسطةً سهلة لتعميم الآداب والعلوم بين الاحداث دون اجبار ولا كراهية ألا وهي تنشيط ارباب المدارس والطلبة معاً بأن يوزَّع ما يُجبى من الاموال لهذه الغاية على المكاتب كلها بلا فرق على قدر عدد تلامذتها ويمتحَن نجاحهم في الامتحانات العموميَّة ثمَّ تُعهد الوظائف لمن نال منهم قصبة السبق في الامتحانات المذكورة . والسلام

المعارض والاسواق

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ معرض بيروت الذي استوقف في هذا الربيع انظار اهل لبنان الكبير وسوريَّة عموماً قد ابان لزائريه ما يُنتظر من هذا المشروع لرواج التجارة وترقية الصناعة بين انحاء الوطن فتزيد به المواصلات وتنمو حركة المعاملات فتبلغ البلاد الى ما يؤمّل من الحضارة بتوفير الإنتاج والصادرات الوطنيَّة وبفضل الاقتصاد من الواردات الاجنبيَّة

وقد رأينا بنسبة معرضنا هذا ان نكتب شيئاً عن المعارض والاسواق عموماً مباشرةً بما شاع منها في الشرق ثمَّ في الغرب وما صارت اليه من النموّ والاتساع في القرن السابق

١ المعارض والاسواق في الشرق

قيل انَّ النور من الشرق . وليس نورنا هذا الهيوليّ فقط بل النور الادبي نور الحضارة والترقّي . والمعارض والاسواق احد اشعَّة هذا النور الذي انبعث من الشرق

قلّما ورد في تواريخ الامم القديمة ذكر المعاريض والاسواق · على انّ الذي يُروى في آثار البابليين والاشوريين والمصريين عن سعة نطاق تجارتهم وتعداد ما كان يُرى في عواصم ممالكهم من محصولات البلاد المختلفة كحراز الصين واسلحة الهند وافاويه العرب وأرجوان صور وزجاج صيداء ومعادن افريقية ومنسوجات العجم لا يُمكن تعليل وجوده في بلد واحد دون اقامة الاسواق والمعارض

وقد نسب البعض اختراع الاسواق والمعارض الى اهل الصين لِما عُرفوا به من النشاط في الإعمال الصناعيَّة والمتاجرات · ولعلّ الفينيقيين قد نالوا في ذلك قصبة السبق لموقع بلادهم في جوار البحر ومتاخمتهم للبلاد الغنيَّة بخصب تربتها ووفرة مصنوعاتها · وقد ثبت وجود مستعمراتهم ومستودعاتهم في كلّ انحاء المعمور المعروفة في زمانهم حتّى اقاصي افريقية وفي كلّ دائرة البحر المحيط فكانوا حيثما يحلّون يقيمون تلك الاسواق الحافلة ويتّخذون المستودعات الجامعة لكنوز الشرق · وكان لصور وصيداء اسواق شهيرة كانت تُقبل عليها تجار البلاد السحيقة · وقد وصف النبي حزقيال في الفصل السابع والعشرين من سفر نبوّتهُ تلك الاسواق بكلام شعري يدلّ على عزّها وغناها وذيوع شهرتها قال :

«جميع سُفُن البحر وملاحوها كانوا فيكِ لترويج موسكِ · ترشيش متجرة معكِ في كثرة كلّ غنى وبالفضّة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقكِ . . . أرام متجرة معكِ في كثرة صنائعكِ وبالبَهرمان والأرجوان والوشي والكتّان والمرجان والياقوت اقامت اسواقكِ · يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معكِ وبحنطة منّيت والحلاوى والعسل والزيت والبلسان اقامتا اسواقكِ · دمشق متجرة معكِ · دان وياوان بالغزل اقاما اسواقكِ · العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجّار يدكِ بالحملان والكباش والتيوس فانهم بهذه أتجروا معكِ · تجّار شبأ ورعمة متجرون معكِ وبأفضل كلّ طيب وكلّ حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقكِ . . . سُفن ترشيش سيّارة لكِ بموسكِ»

فمن هذه الاوصاف وتعداد المتجرات التي كانت تُقام بها اسواق صور يلوح جليًا ما بلغت تلك الاسواق من الفخامة والثروة العظيمة وإقبال الناس اليها لعرض محصولات بلدانها

وقد جارى العربُ الفينيقيين في اقامة الاسواق وقد ساعدتهم على ذلك قوافلهم التي كانت تتنقّل في كلّ انحاء البلاد من الهند والعجم الى الشام ومصر والحبش ·

وقد مرَّ في السنة الاولى للمشرق (١٨٩٨ : ٨٦٥ — ٨٦٩) فصل حسن للاديب البغدادي محمود شكري افندي الالوسي حيث ذكر عدَّة اسواق كانت تقام في جهات الجزيرة في الجاهليَّة وتدلُّ على طول باع العرب في المتاجرات كسُوق (دَوْمة الجَنْدل) في غرَّة ربيع الاوَّل كانوا يجتمعون في اسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء ، وكان ملكها أُكَيْدِر يومي الناس ويقوم بامرهم الى نصف الشهر ، وكسوق (هَجَر) في ربيع الآخر كان يتولى امرهم صاحب هجر في البحرين المُنذر بن ساوي الدارميّ ، وكسُوق (عُمان) في البحرين ايضاً كانوا يقيمونها في جمادي الاولى ، وكسُوق (المُشَقَّر) وهو حصن في البحرين كذلك كان موسمها في جمادي الاخرى ، وكسُوق (صُحار) في اوائل شهر رجب ، وسوق (الشِّحْر) بين عُمان وعَدَن في اواسط شعبان ، وكأسواق أخرى في اليمن كسوق (عَدَن) وسوق (صَنْعاء) في اواخر شعبان وايَّام من رمضان كانت تُعرض فيها انواع الطيب والأُدُم والبُرود وسوق (حَضْرَموت) في ذي القعدة ، واسواق الحجاز كسوق (ذي المجاز) بناحية عَرَفَة وسوق (مِجَنَّة) قرب مكَّة ، ولاسيَّما سوق (عُكاظ) الشهيرة على عشرة اميال من الطائف وكان من اعظم مواسمهم واسواقهم تقصده طوائف العرب قبل اتمامهم لمناسك الحجّ . وقد ذكر في الاغاني (١٦ : ٩٩) سوقاً أخرى سنويَّة في الحيرة كان يجتمع اليها الناس . وذكر المسعودي في مروج الذهب (٣ : ١١٧) الاسواق الصُّفْريَّة باليمن قال : «كانوا يتبارون منها ومن تخلَّف عنها هلك بوماً» فكلُّ هذه الاسواق وغيرها لم نذكرها احسنُ شاهد على شيوع المواسم بين العرب بحيث لم يَخْلُ منها شهرٌ واحد في احدى جهات الجزيرة

وقد بقي من هذه الاسواق البعض منها في زمن الاسلام الى ان بطلت بسبب الحروب وقلَّة الامن . وقد اقيم غيرها بدلاً منها في عهد الاسلام كسوق الثلثاء ببغداد سبقت بناء المنصور لبغداد قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٥) : «كان يقام في الجانب الشرقي عند نهر معلّى في بقعة ببغداد قبل بناء بغداد وكان في كل شهر يقام هناك سوق في يوم الثلثاء . . . ثمَّ صار به معظم سوق البزَّازين » . وكانت تقام سوقٌ شهيرة في خوزستان ورد ذكرها في اوصاف البلدان

وقد بُني في بعض الامكنة مدنٌ كانت قبل بنائها اسواقاً فأُطلق عليها اسم

السُوق كسُوق الاهواز وسوق الخميس مدينة في انحاء البصرة وسوق الأربعاء بلدة من نواحي الاهواز

وممّا ذكرهُ كَتَبة الروم سوقٌ ذائعة الشهرة كانت تقام كلّ سنةٍ في مدينة الرُّها كان يقدم اليها الناس بالالوف حتى من الشرق الاقصى بينهم الصينيُّون كانوا يعرضون فيها مصنوعات الحرير التي لم يكن بعد يصطنعها غيرهم. وقد ذكر ايضاً أميان مرتَلين (ك ١٤ ف ٣) سوقاً اخرى في مدينة بطنة وهي سَرَوج كان اهلها يقيمون كلّ سنة في اوائل ايلول سوقاً حافلة تُرى فيها كلّ محصولات الهند والصين

ولمّا احتلّ الفرنج الصليبيّون في القرون الوسطى سوريَّة وفلسطين راجت اسواق التجارة رواجاً عظيماً وتوفَّرت المعاملات بين الشرق والغرب . وممّا ساعد على تلك النهضة اسواق سنويَّة او شهريَّة كانت تُقام في مدن سواحل الشام في أيام المواسم عند ورود السُّفن الاوربيَّة اليها. فكانت خانات الوطنيين وفنادق الفرنج كمعارض عموميَّة لكل غنى الخافقَين وقد خصّوا منهـا بالذكر عكّا وصور وصيداء وطرابلس واللاذقيَّة وحلب ودمشق. والبعض من هذه الاسواق في القرون الوسطى كانت تُقام كلّ سنة في مدن الداخليَّة كالرَّقة قريباً من الفرات وفي مدائن صالح على طريق الحاج وعند النبيّ روبيل في فلسطين

وقد خمدت تلك الحركة بفوز الاتراك وضغطهم على التجارة الوطنيَّة والاجنبيَّة الى ان عُقدت المعاهدات الجديدة بين فرنسة وتركيَّة الَّا انّ تلك الاسواق والمعارض السابقة بقيت متروية محصورةً في بعض النواحي

ومن الاسواق الشرقيَّة التي اصابت شهرةً في القرون الاخيرة سوق سمرقند تتوفَّر فيها ضروب المرافق واصناف الاعمال الصناعيَّة

وكان قبلها الرحّالة نيبوهر (Niebuhr) في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وجد في تهامة واليمن مواسم واسواقاً كسوق الجمعة وسوق السبت ونومة ولحان وغيرها

ولم تخلُ في ازمنتنا هذه الاسواق السنويَّة ومما ذكرهُ منها في جهات العرب الرحّالة بلغراف (١ : ٢٢٣) اسواق الاحساء والهفوف ومبرَّز فعدَّد ما يُعرَض فيها من الامتعة والاقمشة والمصوغات والبزور والافاويه والاثمار والمواشي والخيل والابل

ومثل هذه الاسواق في بعض جهات سوريّة كسوق حماة الشهيرة وسوق النبطيّة بقرب صيداء وسوق الخان وسوق جزّين وسوق بنت جبيل في بلاد بشاره

وقد سعى بعض ذوي الهمّة في لبنان ان ينشئوا معارض تدعوا اليها اهل الوطن من تجّار وصنعة وعمّال ليعرضوا فيها المصنوعات الوطنيّة المختلفة من اقمشة ومنسوجات وحوائز واشغال خشبيّة وادوات معدنيّة واثاث بيوت وغير ذلك فأقيمت مرّة اولى في الشوير سنة ١٩٠٥ ثمّ تكرّرت ثانية فيها في تموز من السنة ١٩٠٦ ثمّ أُقيم ثالث مرّة في زحلة فصار عليها بعض الاقبال لكنّ القائمين بهذه الاسواق لم يكن لهم صفة رسميّة من قبل حكومة لبنان ولذلك انحصرت منافعها في دائرة ضيّقة وانما بيّنوا ما وراءها من المنافع الاقتصاديّة لو تولّت عملها حكومة منظّمة. وهذا ما قصدهُ فخامة المفوّض الاعلى الجنرال غورو باستدعاء اهل سوريّة الى معرض حافل في عاصمة لبنان الكبير لتكون بيروت مجمع البحرين وملتقى الخافقين

٢ الاسواق والمعارض في الغرب

ان كان الفضل للشرق في سبيل التمدُّن وترويج الصناعة والتجارة وابتداع الاسواق والمعارض الّا انّ الغرب اصاب ايضاً في ذلك بمفاخر لا تُنكر. فقد جاء في قصائد هوميروس الالياذة واسفار عوليس وفي التواريخ القديمة ما يشير الى الاسواق التجاريّة في بعض مدن اليونان وجزائرها كان يتوارد اليها الزوّار من انحاء البلاد وكان الفينيقيّون يقصدونها بسلعهم الثمينة

وقد راجت بين الرومان الاسواق الشهريّة والسنويّة كان رؤساء الدين يعيّنون مواسمها ويفتتحونها بذبائح يقدّمونها للآلهة وهم يدعونها باسم تساعيّات (nun-dinæ) المختزلة من (novemdinæ) لأنّها كانت اوّلاً تدوم تسعة أيام ثمّ جاوزها اسبوعاً واحداً. وهذه الاسواق ترتقي الى اوائل المملكة الرومانيّة. واشهرها السوق المقامة في غرّة كانون الثاني كانوا يحتفلون بها احتفالاً عظيماً

وكان لمدن المملكة وفي بعض قراها اسواقٌ أُخرى تعدّدت مع نموّ الثروة واتّساع نطاق الدولة وتكرّرت غير مرّة في السنة بل في الشهر والاسبوع حتى صارت لا تختلف عن الاسواق اليوميّة الثابتة

ولمّا سقطت المملكة الرومانيّة وقامت بعدها الممالك اللاتينيّة وجدت في الاسواق السنويّة وحشد المبيعات في بعض الامكنة من انجع الوسائط لتعميم الرفاهية ورخاء العيش في البلاد. فتمهّدت السُبل للمتاجرة مع اهـل سوريّة فكان السوريّون منذ القرن الرابع للمسيح ينقلون الى الغرب كلّ صادرات الشرق. وقد ذكر المسيو براهيه (L. Bréhier) ما كان لهم من المستودعات والمستعمرات في ايطالية كرومية ورافنّة وفي فرنسة كليون وبوردو وتربونة وفي المانية كتراف ما يدلّ على سعة ثروتهم ووفرة اعمالهم

ومّمن عُني من ملوك فرنسة باقامة الاسواق التجاريّة ذاك الملك الملقّب بالكبير شرلمان واليه تُنسب سوق بوكار (Beaucaire) التي كانت ملتقى المجازات بين اسبانية وفرنسة وبين فرنسة وايطالية والشرق كان يزورها في ايّام السلم نحو ثلثمائة الف زائر فتُعرض فيها في الشهر الاخير من تشوز كلّ ضروب السلَع من انسجة واجواخ وحرائر وضروب الغلات والاثار والمشروبات يتولّى تدبيرها لجنة مؤلّفة من ١٢ عضوًا

وفي القرن الثامن للميلاد الى القرن السادس عشر اشتهرت اسواق مدينة تروية (Troyes) المرونة باسواق شبانية كان يتزاحم فيهـا كلّ اهل اوربّة الغربيّة أقيمت بمساعي امرائها دوقة دي شبانية فكانت موردًا عظيمًا لثروة تلك الاصقاع ويجري ولاءُها على قواعد غاية في الضبط والدقّة

ومثلها شهرةً سوق لَندي (Lendit) كانت تُقام في بطحاء رحبة موقعها بين باريس ومدينة سان دنيس وكانت قبلًا تُعقد هناك حفلات دينيّة عظيمة تُعرض فيها ذخيرة عود الصليب مع ذخائر اخرى ثمينة يُطاف بها بأبّهة وجلال فاتّخذها التجّار موقعًا لمواسمهم فكانوا ينتجعونهـا في اواسط حزيران الى آخره. ثم نُقلت في القرن السادس عشر الى مدينة سان دنيس الى ان أُلغيت في القرن الثامن عشر

وقد اشتهرت في المانية اسواق ليبسك منذ القرن الرابع عشر ولا تزال الى يومنا هذا تجذب اليها بزونقها الجماهير الجمهورة بما يُعرض فيها من اصناف الفراء والجلود والاصواف والادوات الحديديّة والصينيّات وكلّ لوازم الكتابة والطباعة والاصباغ الخ. وهي تُقام ثلاث مرّات في السنة في كانون الثاني ثمّ في عيد الفصح وفي الخريف

ولروسية سوقها الشهيرة في اواسط ممالكها في مدينة نوفغورد (Novgorod) التي هي من اقدم مدنها وكانت مدةً حاضرة بلادها . ففي القرون الوسطى تمتّعت بالاستقلال وصارت جمهوريةً تجاريةً راجت امورها بحسن موقعها عند مفرق الطرقات بين اوربة والشرق الاقصى

٣ المعارض العمومية

على انّ تلك الاسواق مع وفرة مرافقها وكثرة معروضاتها وعدد زوّارها كانت وطنيةً لا يشترك باعمالها الّا القليل من الغرباء . وبقيت على ذلك حيناً من الدهر الى اواسط القرن التاسع عشر الّا انّ تلك المواسم الوطنية كانت بلغت مبلغاً عظيماً من الشهرة منذ صرف نابليون بونابرت جهدهُ في توسيع نطاق معرض باريس سنة ١٨٠٣ فعرض فيهِ ١٤٢٢ تاجراً مصنوعاتهم المختلفة . ثم زاد هذا العدد في المعارض الصناعية التالية الى ان بلغ عددهم في معرض سنة ١٨٣٤ ٢٤٧٧ وسنة ١٨٣٩ ٣٢٨١ فكان نجاح هذه المعارض داعياً الى تحويلها الى معارض دولية تشترك فيها الدول تعميماً لفوائدها وتنشيطاً لارباب الصنائع بالمباراة والمنافسة

وكانت الدولة السابقة في اقامة هذه المعارض الدولية الدولة الانكليزية اذ شيَّدت في لندن قصرها المعروف بقصر البلّور (Cristal Palace) سنة ١٨٥١ فكان عدد العارضين فيهِ مصنوعاتهم ١٧٠٠٠ وزواره ستة ملايين شخص وبلغت نفقاتهُ نحو سبعة ملايين ونصف من الفرنكات امّا ارباحهُ فزادت على ١٢ مليوناً . وهذا قصر البلّور قد حوَّلتهُ الدولة الى متحفٍ يزورهُ الناس من كل الاقطار

ثمَّ وليهُ سنة ١٨٥٥ معرض باريس ارصدت الحكومة لأبنيتهِ ١٦٨٠٠٠ متر مربَّع وعُرضت فيهِ مصنوعات ٢٣٢٥٤ تاجراً . ومع كثرة مَن قصدهُ من الزوَّار خسرت فيهِ الدولة نيفاً وثمانية ملايين من الفرنكات

ثمَّ تتابعت بعد ذلك المعارض الدولية في عواصم الدول الاوربية في انكلترة (لندن ١٨٣٢و١٨٧١—١٨٧٤ وغلاسكو ١٩٠٣) وفي باريس (١٨٦٧و١٨٧٨ و١٨٨٩و١٩٠٠) وفي فينّة (١٨٧٣) وفي ليون (١٨٧٣) وفي هولندة (امستردام ١٨٨٣) وفي بلجكة (انفرس ١٨٨٥ وبروكسل ١٨٨٨ و ١٨٩٧ ولياج ١٩٠٢)

وفي اسبانية (برشلونة ١٨٨٨) وفي دنيمرك (كوبنهاغن ١٨٨٨) وفي ميلانو ١٩٠٦ وما لبثت اميركة أن فتحت ايضاً معارض حافلة (فيلدلفية ١٨٧٦ واورليان الجديدة ١٨٨٥ وشيكاغو ١٨٩٣ وسان لويس ١٩٠٤) بل ارادت اوسترالية ان تجاري اوربَّة واميركة فانشأت معرضين سنة ١٨٧٩ في سيدني وسنة ١٨٩٠ في ملبورن · وأنشأت فرنسة معرضاً عمومياً لمستعمراتها في هانوي عاصمة تونكين (١٩٠٢)

ولكلّ هذه المعارض تواريخها المشعرة بفخامتها واتساع مساحتها وعدد العارضين فيها للمصنوعات والاختراعات الجديدة وما تكلّفته في انشائها الدول والجمعيات الخصوصيَّة مع ما اصابت من النجاح او الارباح او تكبَّدتهُ غالباً من الخسائر

وقد امتازت بين هذه المعارض معارض باريس التي كانت تضمّ ما خلا السلع وضروب المصنوعات البشريَّة والفنون الجميلة كلّ ما يروق النظر من الملاهي والالعاب وتمثيل عادات الشعوب في حفلات باهرة · وكان لكل دولة بنايتها الخاصة تعرض فيها محصولات بلادها تُشبه كلّ واحدة منها بلدةً كاملة · وفي احد هذه المعارض (سنة ١٨٨٩) بُني برج ايفل البالغ علوُّهُ ٣٠٠ متر كلُّهُ من الحديد وجُهّزت العيون المنيرة وكادت ارباحهُ تغطّي نفقاتهِ · وفي معرض سابق (١٨٧٨) بُني قصر التروكاديرو الفخم ذو الحدائق البديعة والشلّالات الرائعة

وامتاز ايضاً بين المعارض برونقهِ وعظمتهِ وضروب محاسنهِ معرض ڤينَّة المقام في ساحتها الشهيرة المعروفة بالبراتر (Prater) في مساحة بلغت قريباً من مليونَي متر مربَّع مع جملة من العارضين اناف على ٤٢٫٠٠٠ عارض الّا انّ النفقات عليهِ خسَّرت الدولة ٤٨ مليوناً من الفرنكات

ومثلهُ ابَّهة وجمالاً معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ تذكاراً للمئة الخامسة منذ اكتشاف اميركة على عهد كريستوف كولومب عارض ابهى معارض باريس بفنون محاسنهِ وعدد زوَّاره الذي بلغ نيّفاً و ٢٧ مليوناً من الزوَّار

وطبَّق على هذه المعارض بطرائفهِ وفنونهِ معرض سان لويس في عاصمة لويسيانة الذي تناصر الاميركيُّون ليجعلوهُ آيةَ الحسن والجمال واستعدُّوا في تجهيزهِ نحو ستّين · ومثلهُ معرض ليايج سنة ١٩٠٥ الذي بلغت مساحتهُ مئة هكتار وقصورهُ ثماني قصراً · وعُرضت فيهِ ثلثون دولة بطرائفها

ثمَّ خمدت نوعاً حركة المعارض الدوليَّة الفخيمة لما كانت تقتضيهِ من المبالغ العظيمة وما يلحق الدول بسببها من الخسائر وفضَّلت الرجوع الى المعارض الوطنيَّة الخصوصيَّة. منها معرض مرسيلية الوطنيّ سنة ١٩٠٦ الذي امتاز خاصَّة بالعلوم البحريَّة ومحصولات البحر المختلفة. ومن الاسواق الوطنيَّة التي أُقيمت بعد الحرب سوق باريس التي أُنشئت هذه السنة من ١٢ الى ٢٩ أيَّار عُرضت فيها للبيع منتجات البضائع الافرنسيَّة كموادّ البناء من الحديد والزجاج وموادّ الزينة والاثاث والمجوهرات والساعات والحلي وازياء الخياطة والجلد وغير ذلك من الالبسة والحاجيَّات الضروريَّة ومن الموادّ الكيماوية وادوات الصيدليَّات والموسيقى والكتب والورق وادوات التصوير الشمسي ولوازمه وآلات الصور المتحرّكة والسيَّارات والطيَّارات والدرَّاجات والالات الزراعيَّة وغيرها

فمن هذه اللائحة يرى القرَّاء ما كان للاسواق والمعارض من عظم الشأن وسبب إقبال الدول والشعوب عليها فانَّها بجمع المحصولات المتفرّقة في انحاء المعمور ووضعها تجاه اعين الزوَّار لبيان منافعها في مساعدة الانسان في سائر اعمالهِ تفتح لهُ سبلًا جديدة من الاقتصاد والترقّي في بلوغ غايتهِ في حياتهِ المادّيَّة وحياتهِ الادبيَّة معاً وبهما ينال سعادة الدارين

وان شاء الله نخصّ في عدد آخر مقالًا في معرض بيروت

مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيسس

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

توطئة

في هذه السنة تحتفل الكنيسة الكاثوليكيَّة باجمعها لأوَّل مرَّة بعيد القديس افرام السرياني الذي اعلن بهِ ملفانًا على البيعة كلها الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر. وعيدهُ واقع في ١٨ من الشهر الحالي حزيران فاحببنا انتهاز هذه الفرصة لنشر اثر قديم بمتويهِ احد مخطوطات مكتبتنا

السّريّة. والمخطوط المذكور سبق لنا وصفهُ في المشرق (٧ [١٩٠٦] : ٦٧٦-٦٧٨). فيهِ خمسون ميمرًا من ميامر القديس افرام نسخهُ في السنة ٦١٢ م الموافقة للسنة ١٢١٥ مسيحيّة « ابو الفتح بن ابو النور ». امّا معرّب هذه الميامر من السريانيّة فلم يُذكر ولعلّهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي الذي اشتهر بتعريب اعمال كثيرين من الآباء اليونان والسريان (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٩٤٨ - ٩٥٤). وفي آخر هذا السِّفر الجليل مديح القديس افرام لمعاصرهِ القديس غريغوريوس اسقف نيصّ اخي القديس باسيليوس الكبير وهو منقول الى العربيّة فقابلناهُ مع اصلهِ اليوناني في مجموعة آباء اليونان لمِن (Migne, PP GG. XLVI 819-850) فوجدناهُ مطابقًا لهُ. وقد رأينا في نشرهِ فائدتين: الاولى اثبات ما اصابهُ مار افرام من علوّ المقام والرفعة في اعين اهل زمانهِ حتى الثرياء عن أمّتهِ السريانيّة. والثانية ايراد مثالٍ من كتابة النصارى في القرون الوسطى بالعربيّة ومقدرتهم في الترجمة من اليونانيّة ولذلك لم نتعرّض لإصلاح الاصل الّا في جُمل قليلة غامضة المعنى ذهب الشكّ ببعض الفاظها فاستدللنا على معناها من الاصل اليوناني. وهذا المديح يبتدئ في الصفحة ٧٨٣ من نسختنا ل. ش

هذا مديح

الاب القديس غريغوريوس اسقف نيصّ (١

في الاب افرام السرياني

---

١ توطئة الخطاب. لا يجوز ان يوضع السراج تحت المكيال بل على المنارة فالقديس افرام هو ذاك السراج

انّ الذي يحرّكني على هذا الموضوع الذي انا متكلمٌ فيهِ المثل الذي قيل في الانجيل الالهي وهو مثل المصباح فيحلّ لساني بعد ما كان لِلجام الصمتِ خادماً ويوضح لي طرق المعاني ويمهّد تمهيدًا للسبل التي تتهاجن (تتهاجمُ) فيها الخيل فيسهّل لمركبة الكلام المختلفة انواعهُ السلوكَ في طريق سهلة ناهجة بما صرّح في هذا المثل قائلًا (متى ٥ : ١٥): « انهم لم يشعلوا مصباحاً ويضعوهُ تحت القفيز بل على منارة لينير لجميع مَنْ في البيت » ثمّ يتبع المثل بالمعنى المكنون في القول وينادي: « هكذا سبيلُ ضوئكم ان ينير امام البشر حتى يروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا اباكم الذي في السماوات »

---

١) وفي الهامش : « اخو القديس الكبير باسيليوس

٣ ان نفور القديس افرام من كلّ مديح في حياتهِ هو سببٌ يضطرُّنا الى مديحهِ بعد وفاتهِ ليمجّد الناس الله في اوليائهِ

فمن هاهنا لستُ مطالَباً بالجُبْن والاستتار فيما امر السيّد ان اتجرّأ عليهِ واذكرهُ في هذا المصباح البهي الذي كان ضوءهُ اشرقَ من ضوء الشمس. وذلك ما ذُكر في الحديث عن سيرة ابينا الالهيّ (افرام) ولا نلتزم بترك ذكرها ودفنها(٧٨٣) في قعر الصمت بل نستنفد الوسع في ان نشهرها في ذروة البيعة حتى تظهر لجميع المتطرّفين في مسكن العالم فاذا اشتهرت للناظرين مجّدوا الآبَ الذي في السماوات. وما سبيلنا ان نهاب ونتّقي الرباط الذي ربطنا بهِ ذلك القديس لأنّنا في تهيّبنا لذلك نتهاون بما امر بهِ السيّد المسيح. فالضرورة الآن توجب ان نأخذ مبادئ المديح من هاهنا. على انَّ أخذَنا ذلك ربّما كان في وضعهِ مخالفاً لنيّة القديس. لكن من يعرف تمييز الامور يعرف انَّ ذلك الرباط المانع عن اطلاق اللسان بالمدح وتكليل الزهد بالمجد البشري انّما هو رباط لا يربط وضبط لا يضبط من اجل حرص عشّاق الفضيلة على ما ذكرهُ ذلك القديس فيما امر بهِ من فرارهِ من مديحنا وصدّهِ ايّانا عن التعرّض لمديحهِ ووجب ان نجعل نحن السبيل الى نعتهِ وتقريظ فضيلتهِ من هاهنا لا سيّما وانَّ كلَّ واحدةٍ من فضائلهِ حجّة واضحة الى الثناء عليهِ. ولمّا كان هو لا يُسَرّ بمديحٍ كان ذلك زيادةً في فضلهِ وتضعيفاً لفضيلتهِ. وكان(٧٨٤) غرضهُ ألّا يظهر صالحاً بل ان يكون على الحقيقة بارّاً. فلو لم يكن لهُ من الفضل الّا زهدهُ في الاوصاف لقد كان في ذلك كفافٌ يكتفي بهِ من يهمُّ ان يمدحهُ لا سيّما وانهُ لم يقنعهُ الزهد في المديح حتّى اضاف الى ذلك رباطاً ربط بهِ من يريد الثناء عليهِ

فهذا وحدهُ من فضائلهِ قد فتح لنا في الاوّل ميدان الكلام الذي ينبغي لنا فيهِ ألّا نجازف ولا نبعد عن الغرض ولا نهوي في جرفٍ بل نسلك طريقاً ملكيّةً ونتأمّل ان ذلك الرجل العجيب لو لم يعلم انهُ اهلٌ للمديح لمّا كان يمنع من يُريد مدحهُ لأنَّ من يعلم انَّ لا فضل فيهِ يستحقُّ بهِ المديح لن يوصي احداً بان لا يمدحهُ بل يكون غرضهُ ان لا يهمل امر نفسهِ جملةً. فمع ذلك ينبغي ان نزيد اهتماماً في مدحهِ. ألا ترى ما قال الخطيب النبيل بولس مزيّن الكنيسة وفم المسيح (١ كور ١٥: ٩): «انني لستُ اهلاً ان أُدعى رسولاً» فلم تمنع عليهِ هذه اللفظة ان يُدعى رسولاً بل زادت في فضلهِ

وبجدهِ لِما ظهر فيها من تطأطئهِ وتواضعهِ. وكذلك هذا الاب الجليل لمّا حكم على نفسهِ بانهُ غير اهل للمديح(٧٨٥) لتُقاهُ وتقشّفهِ فهو من هاهنا اهلٌ لكل اصناف المديح لأن ناموس كنيستنا المقدَّسة يريد ان نُكلّل الراغبين في الفضيلة في كلّ نوع من انواعها. ونوع التواضع وإحناء العقل الى التطأطؤ والخضوع هو من افضل انواعها بحسب ما قيل في بشارات الرب (لوقا ١٤: ١١): «انَّ مَن يُذلّ نفسهُ ويتواضع فهو الذي يرفعها ويجلّها» فقد صار من ها هنا كلُّ من تعرَّض لوصف هذا الاب الطاهر بعيداً من كل مذمّة في تقريظهِ ووصف مناقبهِ حتّى يصير مثل مصباح على منار شامخ يبيّن لكل احد نورهُ وينادي بذكر سيرتهِ الطاهرة

واذا ما شاهد السامع الحكيم لِما وعدنا بهِ عرف الصدق في اثر القول عند اقتراعهِ واستقرائنا نوعاً نوعاً من فضائلهِ التي منها نحن قد ولّفنا (ألّفنا) اكليلاً ذهبياً مرصّعاً بانواع من الاحجار الثمينة وقدّمناهُ لعروس المسيح التي هي البيعة المقدَّسة تقدمةً مأثورةً وهديّةً مخبورةً فانّها تبتهج لما ترى في ابنائها من المواهب اذا ما حصل للصديقين ذكرٌ تشيد بهِ الالسنة في وقتهِ. فانّ الزمان في هذا عند تصرّفهِ قد قدَّم افرام الى مديحنا (٧٨٦) وكيف لا تقبل الكنيسة مثل ذكرهِ بسرور وهو ذاك الانسان الذي افواهُ جماعة النصارى لا تشبع من ذكرهِ والثناء عليهِ اعني هذا افرام السرياني

٣ ليس مديحنا لافرام لاجل مناقبهِ الطبيعيّة بل لاجل فضيلتهِ

فاني لا استحي من ذكر جنسهِ اذ كنتُ اتجمّل بأخلاقهِ وهو افرام الذي ضوء سيرتهِ وعلمهِ قد انار العالم فصار معروفاً عند كلّ من تطلع عليه الشمس ولم يجهلهُ الّا مَن جهل باسيليوس الكبير الذي هو كوكب الكنيسة المنير. قلتُ افرام الذي هو نهرُ فُراتٍ معقول (١ للبيعة الذي منهُ يشرب جماعة المؤمنين فيثمر كلّ واحدٍ منهم من زرع الامانة بدل الواحد مئة. افرام كرْمةُ الله الكثير ثمرُتها وكان حملُها قيد حلاوتها الشديدة من تعليمهِ. وكانت تُسرُّ أتراب الكنيسة بتسلّيهِ من المحبّة الالهيّة. افرام مدبّر الكنيسة الحسن السياسة الامين الذي كان يوزّع اقوالهُ في الفضائل

١) اشارة الى وطن القديس افرام قريباً من الفرات

على مشاركيهِ في العبوديَّة توزيعَ البرِّ [١] ويسوس منزل سيّدهِ السياسة التي لا عيب فيها التي متى ما ذُكِر جنسُهُ ووطنُهُ ونباهة والدَيهِ وشرف اهلهِ وميلادهُ وتربيتهُ ونُشوهُ وهيئة جسمهِ وحظُّهُ وصناعتهُ وما جرت عادة مؤلّفي الاقوال (٧٨٧) ان يوشّحوا بذكرهِ مديحهم كان ذلك فضلًا لا نحتاج اليهِ . اذ كان لم تجرِ عادتُنا ان نمدح الرجال الالهيين بما هذه سبيلهُ . على انَّهُ قد كان لهُ من هذا المعنى اكبر حظٍ لو ذُكر لكان فيهِ كفاية . الَّا انَّ ما زُيّن بهِ هو نفسُهُ في سيرتهِ ومقالهِ كان اجلّ من ذلك وافضل فوجب ان نجعل لهُ الاكاليل من القول على هذا المعنى اذ كانت المدائح الحقيقيَّة انَّما هي من الاشياء التي الينا فعلُها والكرامة الواجبة انَّما هي لمن لهُ السلطان على الفعل واماً غير ذلك مماَّ تقدّم ذكرهُ وتعديدهُ فالذمّ عليهِ أولى ولا يستحقّ المديح.

وعلى كلّ حال كيف يرضى هذا الرجل ان نؤتيهُ الوصف من جنسهِ وهو قد اطّرح كلّ حسبٍ في العالم واختار ان يكون لله وحدهُ ولدًا باتخاذهِ الاعمال الخطيرة ؟ وكيف يتباهى بوطنٍ من كان يتصوَّر انَّهُ غريب في الارض كلّها ويستنكف من كلّ قُنيةٍ هيولانيَّة ويتصوَّرها عدوًّا لما كان يرجوهُ من الطوبى الازليَّة في الدار الباقية؟ وكيف كان يمكن من قد وطئ وداس (٧٨٨) كلّ جنس من حلى العالم وكان يستثقل مع ذلك ثوب نفسهِ الذي هو جسدهُ ويتصوَّر انهُ يعوقهُ عن العَدْو في طريق الفضيلة ان يلتفت بعد ذلك الى غُرَف والدٍ او أملاك جدٍّ؟ وكيف كان يريد الاوصاف والمدائح من نشوٍ جسماني وتربية شريفة وهيئة جميلة وصنعة مأثورة وغير ذلك مماَّ يُتباهى بهِ في العالم مَنْ كانت تربيتهُ منذ ابتداء نشوئهِ في درس الكتب الالهيَّة وكان شربهُ وريُّهُ من المعين الجاري ابدًا منها ولم يزل يزيد فيما هذا سبيلهُ الى ان وصل الى المسيح . فاذا كنا نحن قد عرفنا هذا من طرائقهِ واخلاقهِ وانَّ اباناً هذا الكبير الجليل لا يرى فيما ذكرناهُ مديحًا بل هزءًا وضحكةً فسبيلنا ان نعود اليهما يخصّهُ ونروم تفضيلهُ بما يلائمهُ . لعمري انَّهُ ليس من شأن القول ان يتجاوز مقدار الطاقة والجدّ بل ان يقف عند الصواب فينبغي ألَّا نقصد طريقةً يكونُ الافراطُ فيها عائقًا من المأثور ولا نجري في سبيلٍ غريبة فنخطئ طريقة الآباء المَلكيَّة القاصدة فيجب من

١) تلميح الى يوسف الحسن في توزيع القمح على المحتاجين مع اشارة الى منى افرام اي المشر

ها هنا ان (٧٨٩) لا نحيد في تقرير القول عن مقدار القصد

والذي يجبان تقدّمهُ لِما رتّبهُ من القول هما العملُ والعلمُ اللذان تتبعهما العشرةُ الاجزاء من الفضائل وهي الامانة والرجاء والمحبّة وحسن العبادة لله ودرس الكتب الالهيّة وتطهير النفس والجسم والدموع الدائمة وما يتبع ذلك من سُكنى البراري والانتقال من موضعٍ الى موضع والهرب من المضرّات ومداومة التعليم والصلاة التي لا تفتر والصوم والسّهر اللذان يُجاوزان كلّ حدٍّ والهجوع على الحظيظ (الحضيض) والاضّجاع على الخشونة التي تفوق القول والزهد في القنية والخضوع الواصلان الى ابعد غاية والرحمة التي تتجاوز الطبيعة البشريّة والغيرة الالهيّة على الذين كانوا يتكالبون على من يستعمل حسن العبادة وغير ذلك ممّا شأنهُ ان يماثل خالقهُ الانسانُ الذي يكون متجرّدًا ويجعل جميع عيشهِ لله مُرضياً . فبهذه المدائح يتجمّل ابونا هذا . وهذا المقال نعرفهُ ونعلم أنهُ يخصّهُ فنميل الى ذكرهِ وتعديدهِ للمنفعة بذلك لا لهُ بل لنا . لأنّ اسمهُ المطلق يرشد الى الفضيلة ذوي (٧٩٠) الحرص اذ كنّا لا نعلم شيئاً من اخبارهِ الّا اليسير قد اقتطفناهُ ممّا زرعهُ في مواضع مختلفة من اقواله فجمعنا نحن من ذلك ما تشبّهنا فيهِ بالنحلة الممدوحة التي تجمع انواع الزهر واصلحنا من ذلك شمعاً روحانياً . ولن ينقم هو علينا لا محالة فيما نحاولهُ من ذكرهِ لأنهُ لا يجزع من الشيطان الشرّير الذي من شأنهِ ان يُعرقل جماعة عند اواخر جهادهم وقد وصل هذا الاب في هذا الوقت الى موانئ الروحانيين وحصل خارجاً من كلّ اضطراب وتقلقل . فهلمّ يا صاح نتأمّل حال هذا الرجل العجيب في كلّ صنفٍ من الاصناف التي عددناها فنشرح ما لهُ في ذلك المعنى والى ايّ مقدارٍ من الصعود الروحاني وصل اليه ونبيّن ذلك للذين قد اجتمعوا هاهنا

٤ إيمان القديس افرام وجهادهُ في سبيله

فنبتدئ بالامانة التي وصل منها الى الطريقة المستقيمة التي لا تعدل عن حسن العبادة بحسب ما عرفنا من مصنّفاتهِ وما تسلّمناهُ من رأي الكنيسة المقدّسة فيه . فانهُ بالسواء رفض ما جمعهُ سابلّيوس ١) في غير وجههِ وما توسوس آريوس في قسمتهِ ٢)

١) نكر سابلّيوس التمييز بين اقانيم الثالوث الاقدس ٢) قسمة اريوس أنهُ جعل اقنوم ابن الله مخلوقاً من الآب ليس مولوداً فقط

فوقف عند الحدّ المستقيم فيما بين القولين فقسم الثالوث المقدّس الواحد الذي لا يختلط ولا يمتزج بالعدد وجمعهُ بالجوهر (٧٩١) حتّى لا يلحقهُ عارٌ من فقر اللاهوت على رأي اليهود ولا يأتيه من كثرة الآلهة رأيُ اليونانيّة الذين صُرعوا فيهِ .وهذان المثيان لعمري هما اللذان يبكّتان مَن قد سكر من الآراء المختلفة ولم يتعهّد الواجب في معرفة اللاهوت الذي لا يُدرك . فامّا ابوليناريوس (١ فانّ الاب افرام دفع رأيهُ البهيميّ بكل حرصٍ واخرجهُ من كلّ نفس مسيحيّة

واما الذين يقولون بعدم التشبيه (٢ فسدَّ افواههم بحجج الكتاب وبراهينهِ وبكّتهم وخلّف لنا آثارًا من اقوالهِ لا تُرام أوحاها اليهِ الباري. واما نواطس (٣ فان هبوطهُ بسهام افرام كمثل هبوط الشرير وسقطتهِ بقوّة صليب المسيح ففي اقوالهِ يجد الطالب قوّة معلّمنا هذا ويعرف بهذا المقدار انهُ رجلٌ شهمٌ في المصارعة وانّ خصمهُ صبيٌّ ضئيل في الانخزال ولم يقتنع بسفسطة من اشتهر في ذلك الزمان من الهراطقة اذ يرى كيف قطع افرام اصول زؤانهم بسيف الامانة وبأقوالهِ السديدة بل اضاف الى ذلك قَطع الأوهام التي كانت ستنتشر في المستأنف بما ابصرهُ منها بعين النبوّة فحصدها وملأ كتبهُ سلفاً واشارهُ من البراهين على ذلك(٧٩٢) .وقد وصل هكذا ابنُ الحقّ الى ما لم يصل اليهِ قبلًا غيرهُ

• رجاء القديس افرام

واماّ رجاؤهُ وثقتهُ بالله وحدهُ فدلّت عليها النعمة الحاصلة لهُ من الرجاء والخيرات [illegible]رنة لذوي الثقة في المعاد . وكان لا يزال يهتدُ بقولهِ وعملهِ في جميع عمرهِ بقول [illegible]زبور (٧:٢٧) : «قلبي على الربّ عوّل فسُوعدتُ ونما جسدي» ولمّا كان رجاؤهُ وثقتهُ بالله على هذا المنى «احاطت بهِ نعمةُ ربّهِ والتوكّل على رحمتهِ (مز ٣١ :١٠) لأن الرحمة تجعل المتوكّل عليها مثل جبال صهيون وترفعهُ الى شاهق من الطوبى والسعادة الصادقة وكان يعرف اتمَّ معرفة ما قيل في الانبياء. كقول داود (مز ١٢٤ :١) : «طوبى

١) ابوليناريوس زعم انّ السيّد المسيح كان خالياً من النفس البشريّة وانّ اللاهوت كان يقوم في جسدهِ بدلًا منها ٢) هؤلاء صنف من الهراطقة الاريوسيين كانوا يُدعَون باسم الأنوميين اي القائلين بعدم شبه الاقنوم الثاني باقنوم الاب وكان زعيمهم فوتينوس

٣) احد هراطقة القرن الثالث للمسيح أنكر سلطة الكنيسة في غفران بعض الخطايا

للرجل الذي اسم الربّ رجاوهُ». وكقول هرميا (١٧:٧): «مبارك الرجل الذي توكّل على الربّ ويكون الربّ رجاهُ» فيكون «مثل العود النامي عند المياه الذي اصلهُ قد نُصب في الثرى» (مز ١:٣). وكقول اشعيا (٣٣:٢٢): «انّ ملكنا هو الربّ فالربّ مخلّصنا» واني «ساكون معوّلا عليه فاخلص» (اشعيا ١٢:٢) وكقول بولس المغبوط وعظهُ (عبر ١٠:٢٣): «سبيلنا ان نتمسك بالميعاد فانّ الذي وعدنا ثقةٌ امين». فلمّا كان ابونا هذا افرام مغتذياً بهذا الرجاء تهاون بالعالم وبكل ما فيهِ واشتاق وصبا الى المجد (٧٩٣) الدهريّ الباقي الى الابد

٦ محبّة القديس افرام لله

واماً محبّتهُ لله ولقريبهِ فقد وصل من الاستقصاء في حفظها الى المقدار الذي قالهُ هذا الاب الالهيّ عند انصرافهِ من العالم مما لا نحتاج معهُ الى برهان من جهة اخرى قال: «اني ما جدّفتُ على الربّ في جميع عمري ولا خرجتْ كلمة جهلٍ من شفتيّ في جميع حياتي ولا لعنتُ احداً ولا خاصمتُ احداً من المؤمنين» فيا لهُ من لسانٍ سعيد تجاسر ان يلفظ بهذا اللفظ الذي لا يليق ان يقولهُ بالحقيقة ألا الملئكة الذين لا هيولي لهم ولا اضطراب في حياتهم. واماً نحن المرتبطون بخدمة الجسد فهذا القول غريبٌ فينا وفوق طبيعتنا وقد يصعب علينا ان نقوم بالواجب فيهِ. وستتعب كثيراً أيها السامع في الفحص عن جماعة المذكورين بالفضل قبل ان تجد مثل هذا الاب القديس في طهارة حياتهِ وخالص ودّهِ لأنّ المحبّة اجلّ الفضائل واكبرها وقد حفظها افرام وقام بواجبها اكثر من غيرهِ من الآباء. ولكن «اذ يأخذ كلّ احد في المعاد على قدر اعمالهِ» (متى ١٦:٢٧) فانّا نترك القول في هذا لغيرنا ممن يريد (٧٩٤) ان يستقصيهُ حتّى لا نُتصوَّر بصورة من يريد ان يقابل بين الآباء ويعادل الواحد منهم بالآخر. ولم نذكر ما ذكرناهُ على جنس المعارضة والمباراة وانّما ذكرناهُ لنبيّن منهُ نموذجاً من اعمالهِ حيث رقي بسُلّمها الروحانية الى ابعد غاية اعني ابانا هذا بل ابا العالم ومعلّم جميع المسكونة افرام الالهيّ (لهُ صلة)

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانيّة بين عرب الجاهليّة وفي اوّل الاسلام

قد شاعت في جزيرة العرب في عهد الجاهليّة واوائل الاسلام عادات لا يمكن تعليلها الّا بنفوذ النصرانيّة واندماجها في القبائل العربيّة . فمن هذه العادات ما هو دينيّ بَحت . ومنها ما هو شرعيّ . وبعضها مدنيّ واجتماعيّ . فهــا نحن نتتبّع هذه الاقسام الثلثة بالتوالي

١ العادات الدينيّة

﴿ الصلاة ﴾ هي في مقدّمة الواجبات الدينيّة بها يرتفع الانسان عن حضيض عالمِه هذا الهيوليّ الى ربّهِ وخالقهِ ليسجد لهُ ويشكرهُ ويستغفرهُ من ذنوبهِ ويلتمس نعمهُ . على انّ اهل البادية كانوا في كلّ اطوار تاريخهم قلّما يكترثون لهذه الفريضة كأنّ لسان حالهم يقول مع احدهم (١ :

لا نصلّي (نصلّي) ولا نصوم (نصوم) ولا نذكر (نذكر) ربّنا حمّاً (لمّاً) القوم (نقوم)

فلمّا دخلت النصرانيّة بينهم أَلِفت القبائل المتنصّرة الصلاة والدعاء الى الله كما يلوح من عدد الكنائس التي كان النصارى اقاموها في جهات العرب وكما بيّنّا في القسم الاوّل من كتابنا بشواهد مختلفة رويناها عن كلّ ناحية من جزيرة العرب

ولمّا ظهر الاسلام فرض صاحبهُ على تَبَعتهِ خمس صلوات في النهار فاستعار ذلك ممّا وجدهُ شائعاً بين الرهبان الذين كانوا يقيمون صلواتهم السبع في خمس قومات من

---

١) اطلب كتاب الكونت لندبرغ Landberg : *Dialectes de l'Arabie Méridionale*

النهار والليل جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص٥٢٠) من صلوات النصارى: «وكانت اخصُّ صلواتهم خمساً قال الفرزدق يذكر عجوزاً من بني جعفر عاذت بابيه غالب:

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالبٍ · فلا والذي عاذت لا أَضيرُها »

واخصّ صلوات المسلمين في طرفي النهار حين يصبحون وحين يُمسون (سورة هود ع ١١٦ وسورة الروم ع ١٧) وهكذا كان رهبان جزيرة العرب يبكّرون الى الصلاة ويواظبون عليها في ليلهم. قال مجنون ليلى:

كأنّهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ · يتلو الزَّبور ونجمُ الصبحِ ما طلعا

وقال الآخر (اللسان ١٤: ٨٩):

من راهبٍ متبتّلٍ متنفّــلٍ · صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

ومن سُنَن الاسلام (الوضوء) والاغتسال قبل الصلاة. وهي عادة كان سبق اليها نصارى الشرق فتجدها في قوانينهم القديمة. ففي كتاب الايثيقون اي الآداب لابي الفرج ابن العبري بابٌ وهو الثالث من مقالته الثالثة قسمَهُ الى عشرة فصول يبحث فيها عن طهارة الجسد واحكامها وشروطها كما كانت شائعةً في كنائس ملّتهِ اليعقوبيّة. وذكر الاحواض التي كانت في ساحات الكنائس لإتمام فريضة الوضوء. وقد وصف حضرة الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ١١٦–١٢٣) احد مخطوطات دير مار شليطا القديمة وفيه قوانين جارية في الاعصار السالفة في ٥١ باباً ورد في احدى صفحاته (ص١٠٨) شروط الصلاة وحدودها على هذه الصورة:

« فامّا حدودها (اي الصلاة) وشروطها فانّها تحتاج في اوّل شيء الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في إثر الحدث. فان لم يجد الماء فليتجمّر بثلاثة حجار وما زاد عليها حتّى ينفي اثر النجوى. ثم غَسْل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الصليب المحيي ويستحبُّ ايضاً غسلُ الرجلين في كلّ غداة. فامّا مَن لم يُحدث فلا يحتاج الى الاستنجاء بل يستحبُّ منهُ غسل اليدين والوجه وغاية الغسل ان يمسّ الماء العضو الذي يغسلهُ وعموماً كاملاً الخ. (ثمّ يليه فصلٌ في الاغتسال من الجنابة غسلاً عامّاً .. مع الاعتراف الى الكاهن وقبول صلاة الاستغفار) »

ومن شروط الصلاة في الاسلام الاتّجاه الى (القِبلة) وهي ايضاً عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتّجهون في صلاتهم الى الشرق اذ يتّخذون الشمس الشارقة رمزاً عن السيّد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق. قال صرمة

ابن أنس قبل الاسلام (كتاب البدء ١ : ٧٦) يصف صلاة النصارى الى مطلع الشمس :

ولهُ شمسُ النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتخذ محمد على مثالهم قبلةً للصلاة كانت اوَّلاً اورشليم ثمَّ حوَّلها الى الكعبة في مكة

وفي الصلاة الاسلاميَّة (القيام والسُّجود والرُّكوع ورفع الايدي) وكلّ ذلك سبق اليهِ النصارى ووصفهُ شعراء العرب. وقد وصف البعيث رهبان الله وقوفهم في الصلاة (اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق) :

رجالٌ يُتْلُون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

وسِخَال ساجيةِ العيونِ خواذلٍ بجماد لينةَ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع (تاج العروس ٥ : ٣٦٣) :

سيبلغُ عُذرًا او نجاحًا من امرئٍ الى ربِّهِ ربِّ البريَّةِ راكعِ

وقال اخر في رفع اكفهم في الصلاة :

فذا فصلُ ايدي الستيث المُسبِّحِ

واذا تلا المسلمون القرآن لحنوا فيهِ (بالتجويد) ولعلّهم اخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح. قال ابن قتيبة في المعارف (ص ١٨٠) :

كان اوَّل من قرأ بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءتهُ حزنًا ليست على شيء من الحان الغناء ولا الحداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبدالله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءة ابن عُمَر واخذ ذلك عنهُ الاباضيّ واخذ سعيد العلّاف واخوهُ عن الاباضيّ قراءة ابن عُمَر وكان هرون الرشيد معجبًا بقراءة سعيد العلّاف . . . وكان القرّاء كلهم الهيثم وابن اعين وغيرهم يُدخلون في القراءة من الحان الغناء والحداء والرهبانيَّة فمنهم من كان يدسّ الشيء من ذلك دسًّا رفيقًا ومنهم من كان يجهر بذلك »

فلا مراء انَّ القراءة المُحزنة والحان الرهبانيَّة تدلُّ بهذا صريحًا الى نفوذ الغناء الرهباني في التجويد

ويجوز ان نضيف الى هذا الباب (السُّبحة) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون

عليها صلوات معلومة اختلفت مع الازمنة وقد وُجد منها في مقابر سيّاح الاقباط في الصعيد. وهي قديمة في الاسلام لورود ذكرها في كتاب العين للخليل قال (١: «السبحة خرزات يُسبَّح بعددها» وجاء في مجلّة المنار المصريّة لمنشئها محمّد رشيد رضا (١٥: ٨٢٣) فصل في السبحة واصلها في الاسلام قال:

«كنّا نرى هذه السُّبَح في ايدي القسّيسين من النصارى والرهبان والراهبات ونسمع انّها مأخوذة عن البراهمة. . . والظاهر انّ المسلمين اخذوها اوّلًا عن النصارى فكانوا في عهد الاسلام عند ظهوره في جزيرة العرب وفي البلاد المجاورة لها كالشام ومصر فلا بُدَّ ان يكونوا قد اخذوا السُّبحة عنهم فيما اخذوه من اللباس والعادات. والامر في السبحة ينبغي ان يكون اشدّ من اخذ غيرها عنهم لأنّها تدخل في العبادة وتُعَدّ شعارًا . . . فالسبحة من البدع الداخلة في العبادة (كذا) »

﴿ الصوم ﴾ احد اركان الاسلام لم يعرفهُ المشركون من العرب في الجاهليّة وانّما كان المتنصّرون منهم يقومون بهِ على مقتضى نواميسهم ولعلّهم كانوا يصومونهُ في رَجَب وهو وقتئذٍ من اشهُرهم الثابتة يوافق شهرنا نيسان قال المقريزي في الخطط (١: ٢٨٢):

«رَجَبٌ شهر حرام ويقولون لهُ الاصمّ لانّهم كانوا يكفّون فيهِ عن القتال فلا يُسمع فيه صوت سلاح . . . ورجب الاصمّ هو شهر مُضَر وكانت العرب تصومهُ في الجاهليّة وكانت تنار فيه وتنحر اهلها وكان يأمن بعضُهم بعضاً فيهِ ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون

قال اميّة ابن ابي الصلت يذكر جزاء الصائمين في دار النعيم:

اذا بلغوا التي أُجرُوا اليها   تقبّلهم وحُلّل مَن يصُومُ

وكان اخصّ اصوامهم صوم الفِصح قال نمر بن تولب:

صدَّت كما صدَّ عمّا لا يحلّ لهُ   ساقي نصارى قُبَيْل الفِصح صوّامُ

ومن صوم النصارى اقتبس محمّد صومَ رمضان ثلثين يوماً وكان صوم الفصح لا يزيد على ذلك في بعض الكنائس (٢. ومنهم ايضاً اخذ عادةَ الإفطار بعد غروب الشمس الّا أنّ النصارى لم يأكلوا حينئذٍ الّا مرّة واحدة على خلاف المسلمين الذين حلّل

١) اطلب مجلّة لغة العرب (٣: ٢٤٥)

٢) اطلب معجم العاديّات النصرانيّة Dict. d'Archéologie et de Liturgie. *art.* Carême

لهم الاكل طول الليل . وكذلك كان النصارى لا يأكلون الّا الاعشاب والبقول والاثمار دون اللحم والبياض وكلاهما مسموح به للمسلمين . قال العلّامة توماس بتريك هيوس (U. Patrik Hughes) في معجم الاسلام (ص٥٣٦) -Dictiona) (ry of Islam : « انّ الارجح عندنا انّ محمّدًا اخذ عن النصارى ناموس الصوم ثلاثين يومًا . وكان صوم النصارى في الشرق غاية في الشدَّة يمتدُّ الى النهار والليل معًا فخفَّف محمد هذه السُّنَّة وحصرها في النهار دون الليل تلطيفًا لشدَّته كما قال (سورة البقرة ع ١٨١) : « يريد الله بكم اليُسْر ولا يريد بكم العُسْر »

امَّا الخيط الابيض والخيط الاسود اللذان ذكرهما هناك (ع ١٨٣) فانَّ اميَّة بن ابي الصلت كان سبق الى الاشارة اليهما بقوله (تاج العروس ٥ : ١٣٧) :

الخيطُ الأَبيضُ ضوءُ الصُّبحِ منفلقٌ والخيطُ الأَسوَدُ لونُ الليلِ مركومُ

﴿ الزكاة ﴾ هي ايضاً من اركان الاسلام المفروضة على ذويه بقوله (سورة البقرة ٢ : ٧٧) : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » اي الصدقة وما يُوحَّد من الاموال لوجه الله واعانة الفقراء . وعندنا انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة تقلَّد فيه اهل الكتاب اي اليهود والنصارى فان موسى في كتاب التثنية الاشتراع وسفر اللاويين يفرض على بني اسرائيل تعشير مالهم لخدمة الكهنة والهيكل . . امَّا النصارى فمن وصايا كنيستهم الراقية الى قرون النصرانيَّة الاولى الوصاة بوفاء العُشر

ولمَّا دخل النصارى في طاعة المسلمين من العرب وُضعت عليهم العشور والمكوس . قال المقريزي في الخطط (٢ : ١٢٢) :

« قال زياد بن جرير : اوَّل من بعث عمر بن الخطَّاب رضيَ الله عنه على العشور انا فامرني ان لا افتّش احدًا وما مرَّ عليَّ من شيء اخذتُ من حساب اربعين درهمًا درهمًا من المسلمين واخذتُ من اهل الذمَّة من عشرين واحدًا وممَّن لا ذمَّة له العُشر . وامرني ان اغلظ على نصارى بني تغلب . . . فلعلَّهم يسلمون »

﴿ الحجّ ﴾ هو ايضاً من اركان الاسلام ومعلوم انَّ الحجَّ الى مكَّة سبق الاسلام . وكان نصارى العرب يحجُّون في الجاهليَّة لزارات مختلفة . ولاسيّما للقدس الشريف فانَّ القديس ايرونيموس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس ذكر في رسائله (Migne, P. L: XXII, 489, 870) بين زوّار الاراضي المقدَّسة الذين كان

لتأليفهِ فتولّى نشرهُ للسيو ماريتان (Mr Maritain) استاذ الفلسفة في جامعة باريس الكاثوليكيَّة. وهو من احقّ الكتب بالاعتبار يبحث عن مسائل قلّما يعيرها بالًا اهل العصر حتى الكاثوليك. امّا موضوع الكتاب فمدارهُ على الكنيسة وقد بنى كلامهُ عنها على كلمة قالها القديس اوغسطينوس حيث وصفها بجسم تامّ ذي اعضاء مناسبة لها. فتتبّع المؤلف تركيب الكنيسة اوّلًا في انشائها للسيّد المسيح ثمّ في مجالي حياتها الروحيَّة والنبويَّة والمدنيَّة والسريَّة وعمل الروح القدس فيها لتنمية ابنائها وبسط سلطتها مع مظاهر اعيادها الجليلة وكلّ ذلك بوصف مؤثر كاوصاف لاردوشنوكو او لابرويلر. وقد وجدنا مع ذلك بعض الخلل في تبويب الكتاب وتنظيمهِ على يد متولّي طبعهِ كما أنّنا كنّا فضّلنا إثبات الحواشي في ذيل الصفحات ليس في آخر الكتاب. ج. ل

Guilloux(Pierre):L'Esprit de Renan. *Un vol. in-16, pp. 412. Paris, de Gigord, s. d.*

روح رينان

لعلّ قرّاءنا يعلمون ما بلغ اليهِ من السمعة ارنست رينان في زمانهِ في عهد نابليون والجمهوريَّة الثالثة وقد عرفهُ بعض اهل الوطن في بعثتهِ الى فينيقية لوصف آثارها. فهذا الرجل الذي اتّخذتهُ الزندقة كرايةٍ تسير تحت كنفها قد ضعفت سطوتهُ منذ وفاتهِ وكاد يزول التهوُّس الذي كان لستفزّ معاصريهِ لتمجيدهِ. وها هوذا كتاب غاية في الانصاف والصدق وضعهُ السيو غيليو اماط فيهِ الحجاب عن ذلك الرجل الذي بعد ان تخرَّج في مدرسة سان سولپيس الاكليريكيَّة قلب للدين ظهر المجنّ ومال الى الإلحاد ومذ ذاك الحين أقام نفسهُ قاضياً على كل امور الدين والدنيا معتبرًا ذاتهُ الكلّ في الكلّ لكبريائهِ المفرط. وقد اختار المؤلف لإثبات حكمهِ اقوال رينان في تآليفهِ ورسائلهِ السريَّة والعلنيَّة التي من شأنها ان تنفّر منهُ كلّ انسان ذي فكرة وذوق وقد اخذت الناشئة الحديثة تستنكف منهُ حتى حفيدهُ ارنست بسيخاري (E. Psichari) لستكرهُ تلك الاخلاق الدنيَّة وارتدّ الى الدين وهو يسعى ان يكفّر عن ذنوب جدّهِ ويعوّض عن الشرّ الذي فعلهُ ج. ل

Mgr Gibier : Les reconstructions nécessaires. I vol. in-12, Paris, Téqui, Prix 6fr

ترميم الابنية المتداعية

الابنية المتداعية التي يدعو الى ترميمها سيادة رئيس اساقفة فرسايل المنسنيور جيبيه ليست الابنية المادية التي أخربتها الحرب وانما اراد بها الابنية الادبية التي يقوم بها المجتمع الانساني والتي أصيبت بزماننا بضربات مؤلمة مباشرةً بالنفوس ثم العيال ثمَّ المدارس ثمَّ الصنائع ثمَّ الرعايا والمدن والمجتمع الانساني كلّه فانّ سيادته يستقري كل هذه الابنية ويثبت ما لحق بها من الأذى بالروح العصري وضعف الدين وانتشار الاراء الفاسدة والاميال الباطلة ثمَّ يدلُّ على الوسائط لعلاج هذه الأدواء. وذلك بكلام لطيف ولهجة حيّة مستطابة ج.ل

L'Arabe parlé. Dictionnaire-Grammaire par **Bruce Millard** avec la collaboration de W. Catzéflis., *Paris., Libr.Garnier Frères in-16, pp. IX-164*

اللغة العربيّة العاميّة: اصولها ومعجمها

قد سبق بعض المستشرقين وألّفوا كتباً في اللغات العاميّة العربيّة في مصر والجزائر ومراكش والشام تسهيلًا للمتجولين من الفرنج في تلك البلاد فأحبّ جناب الانكليزي ميلّار مع مواطننا وليم كتسفليس ان يضمّا في كتاب واحد لهجات تلك البلاد المختلفة فوضعا هذا التأليف الجامع للاصول اللغويّة والمفردات والمباحثات الدارجة بين العموم وذلك باللغتين الفرنسويّة والانكليزيّة . امّا العربيّ فهو بالحرف اللاتينيّ وذلك على طريقة غريبة ليست بمأنوسة فيصوّر مثلًا الثاء بحرف s والحاء بحرفي hh والخاء بحرفي qh والقاف بحرفي kk ولا فرق بين الذال والزاي والظاء فكلّها مصوَّرة بالحرف z وهلمّ جرًّا ل.ش

Manuel de Conversation Français-Marocain par **B.Tedjini.** Paris, Libr. Garnier Frères, in-32, pp. 204

محادثات بالفرنسويّة والعربيّة المراكشيّة

هذا كتاب صغير الحجم وُضع لافادة المسافرين من الفرنج الى مراكش يشتمل على مباحثات في الامور الجارية والحاجات اليوميّة التي لا غنى عنها للمتجوّلين في تلك

لاصقاع وهي باللغتين العربيّة والفرنسويّة والالفاظ العربيّة ممثّلة بحرف افرنجي كالسابق. الّا انّ اصطلاحاته في تمثيلها غير اصطلاحات الكتاب الموصوف وهي غريبة ايضاً. فيا ليت كان يتّفق الفرنج على قاعدة واحدة في تلك الاصطلاحات التي يضيع فيها المبتدئون بل العلماء ايضاً!

Arabic Romanic Transliteration and arabic Reading, by Najeeb Mitry Saleeby. *M. D. D. Sc., Sarkis Press, Bayrut, Syria,* 1920. *in-8, pp. V-78*

تمثيل العربيّة بالاحرف اللاتينيّة والقراءة العربيّة

في هذا الكتاب حلٌّ معقول لتمثيل حروف الهجاء العربيّة بالحروف الاوربيّة شرح فيه مؤلفهُ الاديب نجيب افندي متري صليبي قواعد ذلك التمثيل بعد وصفهِ للحروف العربيّة وبيانهِ لمخارجها وصحّة لفظها ثم اتبعها بعدّة تمرينات عليها بموجب طريقتهِ. ولعلّهُ كان يستطيع اختصارها ايضاً بتبنيهِ للحروف الاوربيّة المزدوجة كالثاء والخاء والذال والشين والغين فانّ الطريقة التي ننهجها الآن في مطبعتنا يفضّلها عدّة علماء اوربيين هكذا: ث (ṯ) خ (ḫ) ذ (ḏ) ش (š) غ (ġ) بدلاً من th, kh, dh, sh, gh, وعلى هذا النمط يكتب جناب المؤلف اسمهُ الكريم Najib Salibi لا Najeeb Saleeby

ل . ش

Los Precedentes Musulmanes del « PARI DE PASCAL » por Miguel Asin Palacios presbitero, *Santander,* 1920, *in-12, pp.* 64

سَبْقُ الكتبة المسلمين الى رهان پسكال

ورد في خواطر (les Pensées) پسكال الكاتب الفرنسويّ الشهير كلمة تُعرف برهان پسكال جعلها في وجه الملحدين كيف ذي حدّين وظنّها مُفحمة مرغمة لكفرهم فقال « لا بأس من الايمان بالمعاد لأنك ان امنتَ بوجوده فصدّق ايمانك كنت فائزاً كلَّ الفوز وان لم يصدق ايمانك بهِ فلا تخسر شيئاً » وقد ورد مثل هذه الكلمة في كتب قديمة الّا ان پسكال اخرجها على صورة قياس وجيز يؤثّر في ذهن سامعهِ. وقد جاء للعرب مثل ذلك قال ابو العلاء المعرّي:

زعم المنجّم والطبيبُ كلاهما أنْ لا معادَ فقلتُ ذاك اليكما
ان صحَّ قولكما فلستُ بخاسرٍ او صحَّ قولي فالويل عليكما

وللغزّالي في إحياء علوم الدين وفي الميزان والاتحاف كلام يشبهُ . فبحث العلّامة

الكاهن الاسباني الشهير بدروسهِ الاسلاميّة الاب ميكال اسين بلاسيوس عمّا يوجد من العلائق بين قول بسكال واقوال الغزّالي فوضع هذا الكتاب الذي اودعهُ نتيجة ابحاثهِ وهو يرجّح انّ بسكال اخذ القياس المذكور عن الغزّالي مع جهلهِ باللسان العربيّ سواء بلغهُ قول الغزّالي ببعض تراجم كتبهِ او بواسطة بعض المستشرقين في زمانهِ . وعلى ظنّنا انّ ادلّتهُ مبنيّة على الحدس والتخمين لا تكفي لاقناع العلماء لا سيّما انهُ ورد لغير العرب اقوال مثلهُ . لكنّنا قد سُررنا بمطالعة كتابهِ الدالّ على تمثّقهِ في درس كتب فلاسفة الاسلام والمتصوّفين . ل . ش

I. GOLDZIHER. **Le Dogme et la Loi de l'Islam,** HISTOIRE DU DÉVELOPPEMENT DOGMATIQUE ET JURIDIQUE MUSULMAN. Traduction de Felix Arin.. *Paris.* Libr. P. Geuthner, 1920, in-8. pp.315

عقيدة الاسلام وشريعتهُ

ليس اليوم بين المستشرقين بل قل بين الشرقيين كلهم من يبلغ في معرفة تاريخ العقيدة الاسلاميّة وشريعتها مبلغ العلّامة اغناسيو غولدسيهر احد اساتذة جامعة بوذابست في المجر كما يتّضح ذلك لمن وقف على كتاباتهِ الاسلاميّة السابقة . وكتابهُ هذا المنقول حديثاً الى الفرنسويّة هو كخلاصة دروسهِ الطويلة للشرع المحمّدي منذ ظهور نبيّ الاسلام الى القرون الاخيرة فانّهُ اعتبر تلك الشجرة الباسقة في جذرها البسيط في الطور الاوّل من تاريخها ثمّ في شُعَبها العديدة وفروعها واغصانها المختلفة المتباينة التي ظهرت في انحاء الاسلام ثمّ نمت وبسقت وكثيرٌ منها تلاشى فلم يبقَ منهُ الّا آثار قليلة . فالمعلّم غولدسيهر في كتابهِ هذا يتتبّع سلسلة تلك التعاليم واستنادها الى القرآن والحديث وما جرى بسببها من الاختلافات والمجادلات والحروب بين اهل السنّة والشيعة وبين الخلفاء والخوارج وبين زعماء الملل والنحل . فكتاب الاستاذ غولدسيهر يكشف النقاب عن كلّ هذه المعميّات بحيث يقف القارئ على تطوّراتها ودقائقها . فنشكرهُ على ما افاد وأجاد ونثني على مترجم الكتاب المسيو أرين وطابعهِ المسيو غوتنر ونحضّ كلّ من يتوق الى معرفة احوال الاسلام الدينيّة على درسهِ . ل . ش

La Mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé par **Louis Brunot.** *Paris, Ernest Leroux, in-8, 1921, p.* 358

البحر وتقاليدهُ واعمالهُ الوطنيّة في رباط وسلا

في مرّاكش مدينة شهيرة بُنيت في القرن الثاني عشر للميلاد تُدعى رباط وفي

ضواحيها بلدة سلا التي قامت في القرن العاشر على اخربة المستعمرة الرومانيّة شلّا . وكلتاهما قد لعبت في القرون الوسطى الى أيامنا دورًا مهمًا في تاريخ مرّاكش ولاسيّما في الاعمال البحريّة لموقعها بجوار البحر الاتلنتيكي فرأى المسيو لويس برونو في درس تاريخها ومآثرهما البحريّة موضوعاً شائقاً من شأنهِ ان يستوقف نظر القرّاء ولاسيّما مواطنيهِ بعد بسط سلطتهم على مرّاكش . وهذا الكتاب يلذّ جدًّا مطالعيه لما ضمّنهُ صاحبهُ من الفوائد التاريخيّة ووصف الاخلاق والعادات القوميّة والمواسم الدينيّة الشائعة في مرّاكش وسواحلها بين الاهلين وخصوصاً بين الملّاحين واهل البحر مع بيان صنائعهم البحريّة وفنّ الملاحة عندهم وتعميرهم للمراكب وارتزاقهم بالصيد مع ذكر الاسماك التي يصطادونها والاهازيج التي يتغنّون بها واشياء اخرى كثيرة يطول تعدادها ولا يجدها العلماء في غير هذا الكتاب . فنهنّئ المسيو برونو على وضعهِ هذا التأليف الفريد في جنسهِ الذي يوقفنا على مجاهل تلك البلاد الغربيّة ل . ش

١ شهر قلب يسوع : تأملات وجيزة (طبعة ثانية ص ١٢٠) = ٢ الكنز الروحي للعابد المسيحي (ص ٤٣٧) = ٣ فرض الحبل بلا دنس (ص ٢٩)

(طُبعت كلّها في مطبعة الآباء اليسوعيّين في بيروت سنة ١٩٢١)

١ وافق تجديد كتاب شهر قلب يسوع دخول حزيران المخصّص لاكرامهِ . وهذا الشهر قد نقلهُ من الايطاليّة حضرة الاب انطون صالحاني وهو في الاصل موجّهٌ للعملة الّا انّ حضرة المترجم رأى في تعميمهِ بين كلّ النفوس التقويّة فائدةً اعظم فأخرجهُ في هذه الطبعة الثانية على صورة تشمل جميع المتعبّدين للقلب الالهي . ومن خواصّ هذا الشهر انهُ جامع بين الوجازة والوضوح وبين النظر والعمل مع الفوائد التقويّة ولذلك اصابت طبعتهُ الاولى قبولًا واستحسانًا

٢ الكنز الروحي للعابد المسيحي هو طبعة جديدة لكتاب الصلوات المكرّر سابقاً نشرهُ في مطبعتنا الّا انّ حضرة الاب صالحاني المتولّي طبعهُ قد اعاد فيهِ النظر واصلح كثيرًا من عباراتهِ الركيكة وألغى منهُ قسماً لا يحتاج اليهِ اهل البلادة فاستبدلهُ بصلوات تقويّة جديدة متفرّقة مع طلبات وادعية وافادات شتّى تتوق اليها النفوس الصالحة فنشكر لحضرتهِ تقريب مواردها من اهل الصلاح

٣ هذا فرض الحَبَل بلا دنس انتزعهُ حضرتهُ من الكتاب السابق لفائدة المتعبّدين للبتول الطاهرة في اخويّاتها. وقد راجعهُ على اصلهِ اللاتينيّ وضبط ترجمتهُ

١ رواية العَلَم السماوي ٢ كتاب نَغَمات الملائكة

كلاهما بقلم الشيخ امين ظاهر خيرالله صليبا

طُبعا في مصر في السنتين ١٩١٩ و ١٩٢٠ (ص ١٠٦ و ٨٠)

قد عشق صديقنا الشيخ امين افندي ظاهر خيرالله المواضيع الدينيَّة جارياً بذلك على آثار رجل الوطن والدين والدم المأسوف عليهِ. وقد اثنينا غير مرَّة على ما دبَّجه قلمهُ السيال نظماً ونثرًا قبل الحرب الكونيَّة بوضعهِ التآليف الادبيَّة الدينيَّة ترويضاً لأخلاق الناشئة العصريَّة. وها هوذا قد اهدانا كتابين جديدين انشأهما حديثاً على نمط كتاباتهِ السابقة. فالاوَّل يتضمَّن اهتداء الملك قسطنطين الكبير الى الايمان المسيحيّ اخرجهُ على صورة رواية غاية في الحسن دعاها بالعلَم السَّماوي مشيرًا الى ظهور الصليب لقسطنطين في كبد السماء يوم محاربتهِ لمكسنطيس. والثاني تسابيح تقويَّة واناشيد مطربة يبلغ عددها ٥٠ تسبحة في كلّ مواضيع التُّقى والدين والادب بنظم رائق ومعانٍ بليغة تُحقّق اسم الكتاب بنَغَمات الملائكة. فنمحض شكرنا للمؤلف عن هديتيهِ النفيستين ونتمنَّى لهما رواجاً عظيماً لا سيَّما في المدارس وبين ناشئة الوطن

هدايا مرسلة الى المشرق

١ ﴿منشور رعائي﴾ وجَّههُ سيادة مطران دمشق بشاره الشمالي الجزيل الشرف الى اكليروس ابرشيَّة دمشق المارونيَّة واعيانها وشعبها عموماً بمناسبة تكريس الطائفة المارونيَّة لقلب يسوع الاقدس اعلن فيهِ حقوق الله على خلائقهِ ثمَّ واجبات الخلائق نحو ربّهم لاسيَّما خدمتهم لهُ تعالى بكل اعمالهم طول حياتهم وذلك ما يدعوهم اليهِ غبطة السيد البطريرك بتكريس نفوسهم وعيالهم للقلب الاقدس.

٢ ﴿ انَّ هذا السرَّ عظيم﴾ خطاب لحضرة الاب الخوري مارون غصن القاهُ في ١٣ نيسان الاخير في كنيسة القديس ميخائيل بالشيّاح بيَّن فيهِ عظم سرّ الزواج

المسيحي بازاء التاريخ المقدّس وتقليد الكنيسة المتواصل . ثم تخلّى الى اثبات ما يستحق من الكرامة والاعتبار في اعين جميع المسيحيين وبايّ خشوع وورع يجب ان يُحتفل به لا في البيوت بل في الكنيسة حيث تُتمّم الاسرار المقدّسة عادةً

٣ ﴿ رواية شهيد الدين وابطال المروّة ﴾ هي رواية تمثيلية ذات ثلثة فصول أكثرها نثرًا مع بعض النظم حضرة الخوري فرنسيس نجم مدارها على بيان شهامة بعض المسيحيين في الدفاع عن وطنهم وايمانهم ثمّ انتصارهم على اعدائهم الوثنيين والعفو عنهم بعد اسرهم كرمًا وامتثالاً لاوامر الدين

٤ ﴿ مقالة في الاعتقاد الباطل ﴾ لحضرة الخوري بطرس قزح من دير الاحمر ذكر فيها بعض الخرافات والاعتقادات الباطلة التي يتناقلها الناس ويهولون عليها لالتباس بعض الحيرات المادية او لدفع بعض المضرّات فاثبت حضرته بطلان تلك المزاعم وفنّدها عقلاً ونقلاً وخطأً الملتجئين اليها

٥ ﴿ الكونيّات ﴾ مجموعة مقالات وقصص في موضوعات شتّى بقلم احمد شاكر الكرمي نشرها محي الدين رضا صاحب مكتبة السعادة في مصر . في هذه المقالات عدّة مزاعم لم يترو فيها كاتبها البعض منها له كمقالته في الزواج والبعض منقول عن غيره كمقالة الفلسفة الشرقية المزريّة التي تعطيل الاديان ونكران الوحي

٦ ﴿ سوريًّا للسوريّين ﴾ هي رسالة سياسية اجتماعية تاريخيّة حسنة وجّهها احد افاضل المسلمين الى قومه ليبيّن لهم شطط اللاندين بالحكومة العربيّة الحجازيّة التي لا يُرجى منها خير لبلاد سوريّة فسرد تاريخ دخولها في جهات الشام في نهاية الحرب الكونية وتتبّع مساوئ ممثلها الامير فيصل الذي كاد مع حاشيته يقلب البلاد ظهرًا لبطن ليفوز بطامعه تارةً بالمواعيد الفارغة وحينًا بسياسة التلوّن ودسّ الدسائس واخيرًا بالعداء . المكشوف وسياسة الخراب فكانت النهاية فشل الامير وعلوّ الحقّ ورجوع السلام الى نصابه بحسن دراية الدولة المنتدبة وحكمة المفوّض الاعلى فخامة الجنرال غورو . فنوصي بمطالعة هذه الرسالة كلّ من غرّه السراب العربي

٧ ﴿ الدواء الشافي ﴾ بقلم شكري افندي الخوري صاحب ومحرّر جريدة « ابو الهول » في سان باولو : البرازيل . هي مقالة صادرة عن قلب يتلهّب غيرة على الوطن يستدعي فيها الدولة الفرنسويّة الى كسر شوكة المتعصّبين ومناصرة الضعفاء .

٨ ﴿ معارضات قصيدة «يا ليل الصبّ» للحُصَري القيرواني ﴾ جمعها الاستاذ الاديب عيسى اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلّة الآثار من شعراء مختلفين زمناً ووطناً واضاف اليها معارضتهُ . وكنّا أحببنا لو خصّ صديقُنا الجامع لهذه المقاطيع وقتهُ الثمين لما هو ارفع وانفع من هذه المعارضات الشعريّة التافهة

٩ ﴿ الحقّ يعلو ﴾ بقلم يوسف نصر . لا تشكّ في انّ الحقّ لا يُعلى عليهِ ولكن ربّما اشتبه الحقّ على كاتب هذه المقالة فنسب اليهِ اوهامهُ الباطلة

١٠ ﴿ الوقائع الماسونيّة ﴾ بلغتنا في آخر دقيقة والمجلّة ماثلة للطبع نسخة من الوقائع الماسونيّة المطبوعة في بيروت لمؤلفها وناظم عقدها يوسف الحاج . وسنفرد لها فصلاً في العدد القادم انشاء الله

شذرات

﴿ قلب يسوع في صدر لبنان ﴾ هي القصيدة العامرة الابيات التي نظمها في الاسبوع الماضي حضرة الخوري رافائيل البستاني فنشرها في البشير . عدنا قرّاءنا كتذكار تكريس لبنان للقلب الاقدس في غرّة شهر حزيران المخصّص باكرامهِ

أَلبنانُ سِرٌّ مِنْ سِرّكَ لا تكتمِ الحبّا ... ففي صدرك المحبوبُ قد أودعَ القلبا
فنزّل هذا القلبِ قلبٌ ومُهجةٌ ... فأَخلِ لهُ مثوًى يروقُ لهُ رَحبا
حبيبُك لا يرضى نديدًا مُزاحمًا ... فيأبى اذا ما غيرهُ يطلب القُربا
أبى الطهرُ نُزلًا حيثُ تأوي مآثمٌ ... وهل أَلِفَ الحقُّ الأضاليلَ والكذبا
أَلبنانُ هذا القلبُ يأبى تقلُّبًا ... فجانِبِ انتقالًا في الولاء ومثا يأبى
فقلبُ يسوعٍ ليس ضيفًا مغادرًا ... ولكنّهُ مَلْكٌ يسود بك الحُقبا
مليكٌ على عرش القلوب قد استوى ... وعن غيرِ هذا العرش ما ملك الشعبا
فسائِلْ رفاتًا في ضريحٍ جدودنا ... فتعرفَ عن ذا القلب ما شئتَ من أنبا
فما عصمَ الأجدادَ شمٌّ بواذخ ... وانْ حكّ في الافلاك منكبُها الشهبا
وما كفّ كفّ الفاتحين كتائبٌ ... ولا هابَ مئوالٌ معاقلَ او عضبا

ولكنَّ هـذا القلبَ قد كان مَوْئـلا يردُّ غزاةً جاعـلا رأسهم كَعْبـا
فكـان ولم ينفكّ ذلـك دأبـهُ فتـابع أبا لبنـانُ نهجـك والـدأبا
تقدَّمـكَ الأجـدادُ فالزم صراطهم فإرثـاً اتاك الحبُّ منهمُ لا كَسْبـا

أحبّوا حبيباً حبُّهُ قـد عـلا به على خشب يستمطرُ الهُونَ والضربا
وقـد ساقهم حبُّ الحفـاظ ودينُهم الى قُلَلٍ شمّـاء تخترقُ السُّحبـا
اقاموا بهـاتيـك الروابي وآثروا عـلى مُخصبـات الريفِ بائرةً جـدْبا
ثوَوا مثلمـا تثوي القشاعمُ رفعةً وقد تخذوا مأواهمُ الجلمدَ الصُّلبـا
وقـد وَغلوا في الغيل خشيةَ غيلةٍ كأنّهمُ الآسـادُ مُخـدِرةً غضبى
ملوا قُنَنَ الأطواد ضنّاً بدينهم كما اقتعدوا جُرْداً مطهّمةً قُبـاً
أبـاةٌ أبوا ضيمـاً وعـافوا معرّةً وقـد أنِفوا ذلاً ولم يـألفوا السَّبـا
غضافرُ لم يَعْنوا لسلطة غـاشمٍ فكلٌّ بنفسٍ عن مـذلّتهـا يربا
فمن كل مفتولِ البِنـال وساعدٍ يرى في الرَّدى للذود عن عرضه قُربى
يُفدّون بالارواح كنزَ يقينهم ولم يرهبوا الإملاقَ فيه ولا الخَطْبـا
اذا قلبُ فاديهم يناجي قلوبهم ترى فيهمُ رُوحَ المكارم قد هبّـا
يحيّون قلباً في اصيلٍ وغدوةٍ ويَحْيَون فيـه مـارحين بـهِ عجبـا
فنهُ قواهـم والحيـاةُ ومجدُهـم كما استهلوا في حبّهِ الأوعرَ الصَّعْبا
بقاموا كأسوارِ حديدٌ بناؤهـا بوجهِ طُغاةٍ حاولوا الفتك والنهبـا
وصـالوا كما صالت قساورُ حُرَّدٌ حِفاظاً على دينٍ وعـذراء ان تُسبى

أأحفادَ ابطالٍ ضراغيمَ مُرَّدٍ شـذا ذكرِهم خاضَ المشارقَ والغربا
ويا نسـلَ امجادٍ كرامٍ تتبّعوا سبيلَ جدودٍ والزموا ذلك الـدربا
سبيلٌ يقود الخطوَ للفضل والعلى ويُرضي بني الدنيـا ويستعطف الربّا
فما الدينُ الّا منهجُ العدلِ والهدى يرى الطاهرُ الظمآنُ موردَهُ عَذْبا
يمجُّ زُلالَ الماء من حُمَّ جسمهِ ويُغضي شعاعُ الشمس من ارمدَ الهُدبا
ومنظرُ شرطيٍّ يبلبل سارقاً ويلقي بقلب السافك الغادر الرعبـا
فلا غرو ان يحتكُّ بالدين فاسدٌ فما الحكُّ الّا دأبُ مهزولةٍ جَربى

فما هالَ ليثاً في العرينة ثعلبٌ … وما ارتاع نسرُ الجوّ إنْ سمع النَّبا
فألقوا الى الحسّاد نظرةَ مزدرٍ … فتُضرمَ نارُ الحقدِ في جوفهم غُضبا
وكونوا كما كان الجدود فتُسعدوا … ولا تخشَوُنَّ العذلَ في الدين والنَّبا
فتنشالُ ناديكم يجُل قلبهُ … هلمّوا ليجوهُ فهو قد فتح الجيبا
فللقلب نطقٌ بل لغاتٌ فصيحة … يحيط بها الأُمّيُّ والدارسُ الكتبا
يحادثُ قلبُ الحبّ قلبَ حبيبه … ولا حائلٌ دون الحديث ولا حُجُبا
فناجوا حبيباً بل خطيباً قد اعتلى … على منبر الآلام لم يأنفِ الصُّلبا
أحِلُّوا فؤاداً في شِغاف فؤادكم … ومن أطهرِ الاميالِ أهدوا له صَحْبا
أيا قلبُ كُنْ في صدر لبنان مُحيياً … نفوساً واجساماً فيكتسب الخصبا
وكن ساندًا تنهي وتأمر مطلقاً … وأصلِ الاباطيلَ المضلِّلةَ الحربا
وحافظْ على كنز العقائد مُبعِدًا … عقاربَ غيٍّ تبتغي نحوه الدَّبّا
أضِئْ ما دجا في النفس والقلب والنُّهى … وبدِّدْ ظلاماً يفسد الدين واللُّبّا
ولا تدع الاهواء تعصفُ ريحُها … ليسريَ روحُ الطُّهر ذا أرَجٍ رطبا
وصُن من سموم الفسق زهر شبيبةٍ … ومن سُمِّ حيّاتٍ تروم بها لُبّا
فشبّاننا تبني عليهم رجاءنا … وهم في غدٍ يضحون للوطن القُطْبا
فسدِّدْ خطاهم في النضاضة انهُ … يَشيب على ما في صباه الفتى شبّا
فيُختَم عمرٌ في رضاك كما ابتدا … فنسعدَ في الدارين هذهِ والعُقبى

﴿النباتات النيّرة﴾ لبعض الاشجار المقطوعة والاغصان التعفّنة خاصةُ التشعشع كالفسفور فتضيءُ في الظلمة . وقد روى احد العلماء انهُ عاين في اميركة قوماً يجرّون شجرةً مقطوعة على طرق مفروشة بالبلاط فكانت تخطّ بمرورها خطاً نيّراً على البلاط وكان نور الشجرة يكاد يبهر النظر بسنانهِ وبقيت منها شظايا مضيئة بضعة ايام . وشوهدت امكنة شتّى كانت تضيءُ فيها ميلاً جذوع الاشجار المقطوعة فتنير ما يجاورها

﴿ اطول قناة في العالم ﴾ هي قناة الصين الكبرى الممتدّة من هنغ شو الى تيان تسين . طول قسمها الجوهري ١،٣٧٠ كيلو متراً ، اعني ٢٨ مرة ونصف اكثر من طول قناة سويس . بوشر حفرها في الجيل الخامس قبل المسيح حيث كانت تباشير التمدّن الاوربي بادية على افق العالم الشرقي البالغ في ذلك العهد عمراناً قليلاً . ولم تختم

حتى الجيل الثالث عشر بعد المسيح فاستغرق انجازها ١٧٠٠ سنة ونيف . اما الآن فليست قابلة لاجتياز السفن في كثير من اجزائها وقد عزمت الحكومة الصينيَّة على تخصيص المبالغ الطائلة لترميم تلك مأثرة جدود ابناء السماء !

﴿الماسونيَّة والحرب الكونيَّة﴾ كان ورد في لسان الحال في عدد السبت ١٣ أيار ١٩١٩ ما حرفهُ : « رأي غليوم الثاني في الحرب . كتب غليوم الثاني كتاباً الى الدكتور شلبان من كليَّة برلين اتهم فيهِ الماسونيَّة بأنها اثارت الحرب واكَّد انَّ الانتصار التامّ كان مضموناً لالمانيا لولا الهدنة وانَّ انكسارها لم يسببهُ غير مكايد الاشتراكيين الديموقراطيين في المانيا » فان صحَّ قولهُ عن الماسونيَّة كانت « شنشنة نعرفها من اخزم »

﴿اصلاحات وفوائد﴾ ورد في الصفحة ٣٣٩ س ٣ انَّ لبعض الهوام من الاجنحة « زوجين او اكثر » والصواب « لا اكثر » . ويُصلَح س ٩ « انَّ لاكثر انواعها ثمانية عيون » لا « ازواج من العيون » . وكذلك س ٢٦ « ولعيها زوج من المحاجن في كلّ من شفرتيها العُليا والسفلى » لا « زوجان » = وقد لفت الاستاذ منصور افندي جرداق نظرنا الى خطاء وقع في الارقام في الصفحة ٤٤ سطر ٤ من عدد ك ٢ حيث ورد ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر والصواب ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ . وافادنا جنابهُ انَّ فارس الشويريّ المذكور في رحلة الامير بشير الاولى الى مصر (ايلول ١٩٢٠ ص ٦٨٩–٦٩٠) والذي لم نقف لهُ على تاريخ « هو فارس جرجي مرهج من قرية الشوير والمعروف عنهُ انَّهُ قدَّم خدمات مشهورة للامير في أيام كربتهِ ولذلك جعلهُ كاخيتهُ وبواسطتهِ رقّى الامير بيت عسّاف مرهج المشهورين وقرَّبهم اليهِ » = واستفدنا من مجلَّة العرفان الصادرة في صيدا . (ص ٣٤٤) أنها سبقتنا الى نشر قصيدة ابن دريد في المقصور والممدود في الصفحة ٣١٥ من سنتها الرابعة . وعذرُنا في جهلنا لِما نشرت انهُ لم يبلغنا من اعداد سنتها الرابعة الأ ثلثة اجزاء اي ١ و ٩ — ١٠ ومن السنة الخامسة العددان ٥ و ٨ فلو تتفضَّلت بارسال ما ينقصنا من اعدادها لكنَّا لها من الشاكرين . ومن إفاداتها انَّ الكاتبة زينب فوّاز التي نشرنا ترجمتها لجان درك في شباط الماضي (ص ١٠٨) هي « عامليَّة شيعيَّة معروفة ولم تزل اسرتها موجودة في تبنين وأنها توفيت في غضون الحرب » اما ما زاد صاحب المجلَّة هناك عن تطرُّف البشير والمشرق في ذكر اعمال الشيعة في بلاد بشاره فجنابهُ أعلم منَّا أنَّهُ دون الحقيقة وليس من جنايات « شذّاذ واخلاط منهم فقط » ولو سكتنا لصرخت الحجارة

اسئلة واجوبة

س سأل احد السادة الافاضل: ١ً باي عهد ترك الموارنة استعمال البدلة الشرقيّة اي الثنّارة في القدّاس واتخذوا البدلة اللاتينيّة ؟ . ٢ً هل يانعهم الكرسيّ الرسولي اذ ارادوا العود الى استعمال بدلتهم الشرقيّة ؟

البدلة الشرقيّة في الطقس المارونيّ

ج نجيب على الاوّل انّ الموارنة لم يتّخذوا البدلة اللاتينيّة في وقت واحد وانّما دخلت عندهم تدريجاً بما اهداهم الكرسيّ الرسوليّ من البدلات المتعدّدة على يد المرسلين اللاتين بسبب فقر كنائسهم لاسيّما في سفارتي الاب اليانو اليسوعي اللتين روينا هما في المشرق . وكانوا قبل ذلك يلبسون الغفّارة في التقديس كالسريان . ونجيب على الثاني انّ الامر في عهدة مجمع الطقوس ولو عُرض عليهِ رغبة الاكليروس في الرجوع الى البدلة الشرقيّة لا نظنّ انّهُ يجد في ذلك مانعاً

س سألنا كثيرون ما سبب تأخّر الروم هذه السنة في تعييد الفصح حتّى زاد الفرق بينهم وبين الكاثوليك اكثر من شهر ؟

تأخّر الفصح عند الروم في السنة الحاليّة

ج قد استوفينا في المشرق مسألة الحساب. الشرقيّ في تعييد الفصح والاصلاح الغريغوريّ لهذا الحساب. راجع في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٢٢٥—٢٣٠) مقالة للاب موريس كولنجت تحت عنوان «اصول الحساب السنوي» ثم مقالة ثانية لحضرتهِ تحت العنوان : «الفصح تاريخهُ وبيان حسابهِ» (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٢٦ و ٣٤٤) . ثم مقالة ثالثة لنا تحت العنوان «توحيد الحسابين» (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٤٢٢—٤٢٦) . فمن مراجعة هذه الفصول يتّضح لك انّ التابعين للحساب القديم في هذه السنة كانوا مخالفين لقانون المجمع النيقاوي الذي امر بان يُعيَّد الفصح في الاحد الواقع بعد اوّل بدر يلي للاعتدال الربيعيّ فالاعتدال الربيعيّ كان في ٩ آذار غربيّ وكان البدر الواقع بعدهُ في ٢٥ منه والاحد الاوّل في ٢٧ آذار هو الفصح في الحساب الغريغوريّ امّا تبعة الحساب القديم فانّهم لم يحتفلوا بعيد الفصح الّا في الاحد الواقع بعد البدر الثاني من الاعتدال الربيعي اعني في ٢٤ نيسان وذلك بسبب الغلط الواقع في حسابهم ل. ش